شاعر النوبة

إبراهيم شعراوى

متصوفاً

محيي الدين صالح

الطبعة الأولى

مايـــو ٢٠٠٠م

القاهرة

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٨٧٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء ..

إلى جمعية النوبي الثقافية الدينية ....

وقد حملت على عاتقها مسئولية نشر ما طوته

السنين الطويلة من صفحات خالدة .. كما

تحملت سداد الديون الثقافية المتراكمة بإعلان ما

أسرت به الأيام من تاريخ النوبة ومآثر النوبيين .

محمد عبده

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ... يقول سبحانه : " من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ... ومن أتاني يمشي أتيته هرولة .." [١] والصلاة والسلام على رسوله الأمين .. ورضي الله عن الصحبة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ...

يا طالب العلم ههنا وهنا ومعدن العلم بين جنبيكا
إن كنت تبغي الجنان تسكنها فلتذرف الدمع فوق خديكا
وقم إذا قام كل مجتهد تدعوه [٢] .. كي مايقول لبيكا[٣]

وبعد ...

يسعدنا أن نسلط بعض الضوء على جانب من جوانب إنسان يفخر به المجتمع النوبي ... ولقد عرفته كل الأوساط الأدبية

(١) حديث قدسي رواه الترمذي.

(٢) تدعوه . تدعو الله سبحانه وتعالى

(٣) الأبيات الثلاثة من قصيده منسوبة للزاهد النوبي المعروف (ذو النون)

والثقافية والفكرية شاعراً وأديباً ومناضلاً ... واشتهر على مستوى العالم العربي كواحد من القلائل الذين يكتبون أدب الطفل بأسلوب بديع ... وقليل جداً من الناس هم الذين عرفوه متصوفاً ، يروح ويغدو بين حلقات الذكر بقصائده الكثيرة التي تفوح بكل معاني الحب الذي سكن قلبه .. حتى أطلق عليه رفاقه في "العشيرة المحمدية" لقب (أبو الإلهام) .. ونحن بذلك لا نقدمه .. لأنه هو خير من يقدم نفسه للناس من خلال أعماله الأدبية المتنوعة .

النوبي الثقافي الديني

الشواهد المضيئة

أنا مِن بني (الحلاج) .. درويش ، وكل منَاي "خِرقة"
ورضَـــــا مِنَ الرحمنِ ، أعبـرُه على دربِ المشقـــة
يــا نعم أوسمةً تســـيرُ إلى الصدورِ المستحقـــة !!

بهذه الأبيات المعبرة التي نشرت في مجلة (المسلم) سنة ١٩٦٣م قدَّم الشاعر النوبي الكبير الأستاذ / إبراهيم شعراوى نفسه إلى ساحات الأدب والفكر والدعوة .. مبيناً توجهاته الفكرية التي ينطلق من خلالها إلى آفاق الآخرين .. وربما حاد عنها ثم ما يلبث أن يعود إليها سريعاً ... فهو – حسب قوله في هذه الأبيات – من بني (الحلاج) الزاهد المتصوف الشهير .. وإن كان الحلاج قد اتُّهِم في إخلاصه ولقي حتفه بسبب ذلك إلا أنه أصبح فيما بعد رمزاً من رموز التصوف (على خلاف). والحلاج هو الحسين بن منصور من أصول فارسية عاش في أوائل القرن الرابع الهجري ويقال إنه سمي

الحلاج لأنه هو أو والده زاول مهنة (حلج القطن) ... وليس هذا هو موضوعنا ولكن لزم التنويه حتى لا يختلط الأمر .

* * *

وشعراوى حينما ينسب نفسه إلى هذا الزاهد فهو لا يقصد نسب البنوة والأبوة .. ولا أظنه يريد إثارة ما حدث من خلاف حول رجل لا نتهمه ولا نبرئه ولا هو يحاول ذلك .. ولكنه الانتساب الروحي الرمزي .. أو كما قال أحد الشعراء القدامى :

وتشبهو إن لم تكونوا مثلهم   إنَّ التشبهَ بالكرامِ فَلاحُ

هذا على افتراض أن (الحلاج) كان من الكرام .. والله أعلم بالسرائر . ثم يصف شعراوى نفسه بأنه (درويش) وله أمنية متواضعة كشأن كل المتصوفين .. أما الدرويش فهو السائل الذي يلح في السؤال وقد أطلق هذا اللقب على الزهاد والمتصوفة لأنهم لا يكفون عن سؤال الله سبحانه وتعالى في حلهم وترحالهم ..

وهنا تتجلى نوبية الشاعر وأثر المجتمع النوبي القوي على إبراهيم شعراوى واختيار هذا الاسم له دلالة .. لأن النوبيين من أوائل الذين أطلقوا لقب (الدراويش) على المتصوفين .. وهي كلمة تستخدم بكثرة في النوبة .. ويمتاز الدرويش عن غيره من المتصوفة بزهده الشديد عن الاهتمام بالمظهر الخارجي لنفسه .. لدرجة المبالغة .

وهناك تعريف آخر للدرويش في المجتمع النوبي .. وهو الإنسان الذي يفقد عقله (بدون جنون) ويسير في الطرقات لا له ولا عليه .. وقطعاً شاعرنا لا يقصد أنه من هذا الصنف.

أما أمنية هذا الدرويش أو الشاعر الذي هو (شعراوى) فإنها أمنية في منتهى التواضع .. فهي لا تعدو كونها (خرقة) أي قطعة بالية من القماش القديم يستر بها الدرويش جسده ، مستغنياً بها عن الملابس التي يسارع الناس لاقتنائها ويتنافسون في العناية بها كمظهر من مظاهر الترف والنعيم .. أما من جعل كل همه في الحياة كيفية الفوز بالآخرة .. وفقط .. فإنه يطيح بكل مظاهر

ومباهج الحياة ولا يأخذ منهـا إلا بـالقدر الـذي يعينـه علـى العيـش ويسد رمقه ويستر عورته.

ومن كـانت نظرتـه إلى الحيـاة بهـذه الطريقـة .. فـلا شـك أنـه سيواجه في الحيـاة مـن المشـقات أعتاهـا ومـن المتـاعب أقسـاها ... وعموماً فإن فلسفة المتصوفين في الدنيا تدور حـول هـذه الجزئيـة .. ولم لا .. إن كانت الجنة قد حفت بالمكاره وهي حـزن بربـوة ... في حين أن النار قد حفت بالشهوات مع أنها سهل بسهوة [1]

* * *

وإن كنتُ أنا في فلسفتي للحياة لا أميل إلى فكرة التصـوف ولا أدعو إليها كما لا أقتدي بالطرق .. إلا أن هذا لا يعني أنني أحـط من أقدار الرجال الذين اختاروا هذا الطريق .. فلكل شرعةٌ ومنهاجٌ .. فأنا عبد من عبـاد اللـه ، سـلكت صراطـاً أبتغـي فيـه رضـا اللـه سبحانه وتعالى .. والدرويش سلك طريقـاً يبتغـي بـه رضـا اللـه ..

(١) مضمون حديث نبوي شريف.

والفوز برضا الله هو غاية كل مجتهد وأمل كل متحرك وساكن ، وهو مما قال عنه سبحانه وتعالى ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[1] ... ولذلك حينما تعرض الشاعر / إبراهيم شعراوى لفكر (الحلاج) وأسلوبه .. إنما جعل أمله كله رضا الله سبحانه وتعالى عنه .. حتى وإن كان الطريق إلى رضا الله محفوفاً بالمشقة .. فالفائز في النهاية بالقبول سيكون له الجزاء الأوفى الذي يستحقه وساماً على صدره .. وهذا ما يقرره شعراوى بقوله :

(يا نعم أوسمةً تسيرُ إلى الصدورِ المستحقة)

في العقد السادس من القرن العشرين - وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م - كانت المحافل الرسمية تحتفل بالمناسبات الدينية مصبوغة بلون سياسي وكانت احتفالات مولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتبارى فيها بعض الخطباء والشعراء بتمجيد الثورة ورجالها أولاً وبإسهاب شديد ، إرضاءً للاتجاه السائد والسلطة والإعلام .. ويتناولون بعد ذلك على استحياء موضوع الاحتفال .

---

(١) سورة المطففين : من الآية ٢٦.

إلا أن أهل الغيرة لم يقبلوا هذا الوضع المقلوب ، ومن هؤلاء شاعرنا إبراهيم شعراوى .. الذي طاف في إحدى هذه الاحتفالات على أكثر من (صيوان) مقام للاحتفال بالمولد النبوي ، فوجد أغلب القصائد والخطب عن المنجزات الثورية والعبقرية الناصرية ، فاعتبر أن كل هؤلاء مأجورون فانصرف عائداً إلى منزله غضبان أسفا .. وفي طريقه وجد (درويشاً) قابعاً بجوار أحد المساجد يقوم بأعمال الحراسة - أو هكذا يتصور - فقارن شعراوى بين هذا الدرويش الصامت الذي مازال يعيش بفكر القرون الماضية زهداً عن زخارف الحياة وزينتها .. وبين أولئك المتكلمين المفوهين الذين يدَّعون أنهم في عصر العلم والمعجزات .. فكتب شعراوى يخاطب ذلك الدرويش رمزاً فقال ..

يا أيها الدرويش ، هذا عصرنا ، عصر الفتات

عصر يعيش بغير ذات

عصر الجهالة .. باسم عصر العلم .. عصر المعجزات

وبعد أن عرّفنا الشاعر أنه أُوتي منطق الدراويش ، ويجيد مخاطبتهم بلغتهم ، وقبل ذلك وضح لنا أنه (درويش) من بني الحلاج .. نجد أن هناك جوانب أخرى وصفات جميلة وصف بها شعراوى نفسه في مواضع كثيرة من قصائده المتناثرة على مدار أكثر من أربعين سنة .

وفي قصيدة منها ... يعرّف شعراوى نفسه بأنه (عندليب) يغرد في سماوات العشق الإلهي لينير الله له قلبه بحب آل البيت .. فيقول :

يا آل بيت المصطفى   أنا (عندليب غردا)

لينير لي قلبي، يفتت   فيه صخراً جلمدا

فهو يعتبر أن التغني بقصائد المديح تنير القلوب وتذيب الصخور التي تعلق بدواخل الإنسان .. وهذا هو عين الفكر الصوفي الذي يستمد المدد الإلهي بإنشاد القصائد والتواشيح .. وهذا هو أسلوب شاعرنا في أغلب كتاباته الشعرية ... فعندما يشعر بأنه في حاجة إلى عون روحي يستعين به على دنياه ، يتحرك حسب فكرة

الصوفيين نحو التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم والتغريد بمكانة الرسول في سويداء قلبه ... وكأنه بهذه الروحانيات في حب الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يستمد العون من الله سبحانه وتعالى .. فيقول :

يا حبيبي .. أنت لي إن تعصف الريح من حولي وماذا في يدي

أنت لي فجر ربيعي إذا عَشَّشَ الليل هنا في مقلتي

أنت لحن في دمي في أضلعي أنت – ماذا ؟ – سكر في شفتي

وأحياناً يلجأ الصوفي إلى الله مباشرة في بداية القصيدة ويتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك .. كما فعل الشيخ يوسف النبهاني عندما قال :

بك استعنت إلهي عاجزاً .. فأعن

أبغي رضاك فأسعفني بأطيبه

فإن تُعِنْ ثعلباً .. يسطو على أسد

أو تُخذل الليث .. لا يقوى لثعلبه

ثم يعود النبهاني إلى التوسل بـالمصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول :

ورأس مالي جاه المصطفى .. فبه

أدعـوك يا رب .. أيدني له وبـه

وشاعرنا إبراهيم شعراوى كأنـه استشعر بشاعريته المرهفة ما سيقال عنه في مرحلة من مراحل حياته من أولئك الذيـن سينسبونه لتيارات فكرية قد تتعارض مع الديـن .. احتـاط لنفسه ولفكره .. فقال عن نفسه وهو غارق في مناجاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

مسلم قلبي ، وروحي ، ويدي وضميري .. مسلم في كـل شيّ

مسـلم أحـلم أن تقبلني في رعـايـاك ، وأن تحنو عليّ

* * *

وفي قصيدة (النّبي النُوبي إدريس عليه السلام) يتداخل شعراوى عند جزئية هامة جداً – توحي بتغلغل شاعرنا في أعماق الشعور –

ويتناول فكرة الذوبان في العشق الإلهي .. وينسب إلى سيدنا إدريس مقولة :

وهو لما عرف الأسرار من علم الفلك

قال : حمداً لك يا خالقنا ، والملك لك

رب فامنحني دوام العيش حتى أعبدك[1]

ولم يكن شعراوى ليتعرض إلى هذه الزاوية إلا لتوافق كامن بين مراداته الخفية وبين هذا الذي نسبه إلى سيدنا إدريس عليه السلام (الصديق النبي).

---

(١) في كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للعالم أبي إسحق النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٧ هـ نجد أن سيدنا إدريس عليه السلام يقول لسيدنا جبريل عليه السلام : أخبرت أنك أكرم الملائكة من ملك الموت ، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي ، فأزداد شكراً وعبادة فقال الملك : لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها . قال : قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي ، فقال : أنا مكلمه لك ، وماكان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك . ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى إلى ملك الموت فقال : لي إليك حاجة. فقال له / افعل لك كل شيء أستطيعه فقال له : لي صديق من بني آدم تشفع إليك لتؤخر أجله. فقال : ليس ذلك إلي ، فإن أحببتَ أعلمته أجله متى يموت. فيتقدم في نفسه. قال : نعم ، فنظر في ديوانه ، فأخبره باسمه وقال : إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً قال : وكيف ذلك ؟ قال : إني لأجده يموت عند مطلع الشمس قال : فإني أتيتك وتركته هناك. فقال له : انطلق ، فلا أراك تجده إلا وقد مات. والله ما بقي من أجل إدريس شيء. فرجع الملك فوجده ميتاً !

وفي نفس القصيدة يؤكد شعراوى نوبيته وتمسكه بالتسامح ومكارم الأخلاق مهما تعرض للظلم أو وجد من معاناة من الآخرين .. فلا يواجههم بالويل والثبور أو الدعاء عليهم كما فعل أحد السابقين حين قال:

يا فرقــة الزيغ لا لقيت صالحة

ولا شفى الله يوماً قلب مرضاك

ولكن شعراوى استعرض وسائله التي يواجه بها (نعيق البوم في وادي الرماد) فقال :

وأنا أين سـلاحي ؟ .. غير دُفّي والأصـابع

والشجى من (دسني ليمونا)[1] حزين الشدو دامع

وفي قصيدة (حدي بلال) المنشورة في ديوان (أبطال الكلمة) يؤكد إبراهيم شعراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين هم قدوته في الحياة .. فالرسول هو شفيعه ووسيلته إلى الله ، لأنه يهديه إلى طريق الصلاح ويأخذ بيده إلى حيث الفلاح ونيل المراد .. وكل ذلك يوضح لنا

(١) اسم أغنية نوبية تراثية قديمة جداً بمعنى (السمراء التي تشبه الليمونة في جمالها).

أن الشاعر / إبراهيم شعراوى قد تشرب الأفكار الصوفية حتى النخاع ... يقول :

سيظل الهادى يحيا في قلبي ... ويحقق أحلامي
(وبلال بن رباح) حبيبي هو جدى ، مسك الإسلام
الأسود مثل سواد الليل يبدد ليل الإظلام

ويسافر بنا شعراوى في نفس القصيدة ذهاباً وإياباً بين ماضينا (العريق) وحاضرنا (....) ويقارن بين أيام جدنا بلال رضي الله عنه وبين أيامنا .. أو بين السلف حملة رسالة الإسلام إلى كل بقاع الأرض ... والخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ... فيقول :

ما كنا نشبه أيتاماً يسعون لمائدة لئام
بل كان القول الفصل لنا والحكمة بين الأقوام

وشعراوى تطرق إلى هذا الموضوع كثيراً في أشعاره المتنوعة وإن كان يقول هنا في هذه القصيدة (بل كان القول الفصل لنا) على سبيل التذكر فإنه في قصيدة أخرى عن (الحسن والحسين) رضي

الله عنهما .. فعل نفس الأمر ولكن بالسرد المقلوب .. أي أن الحديث كان في عهد العزة وجاء ذكر الهوان على أنه متوقع مستقبلاً .. فقال على لسان سيدنا جبريل عليه السلام :

نحن أدرى بأن يوماً سيأتي   تُملأ الأرض فيه بالرقعاء
ويذوب الحياء في الناس حتى   في بيوت النساك والعلماء
وتصير القلوب قفراً هواءً   وتصير الأحكام للأهواء
ويصير الطريق خزياً وعاراً   ويقيمون دولة للعراء
ويصير الكتاب لهواً .. ويحيا   من أحبوا الكتاب كالغرباء

وكأن شعراوى يريد أن يشدنا إلى ماضينا التليد ويربطنا به بكل وسائل الترغيب والترهيب الوجداني التي تداعب العواطف وتثير فيها الذكريات .. وهذا شبيه بأسلوب المتصوفين في الدعوة .. كما يقول الصوفي المشهور (الإمام البوصيرى) وهو يستلهم بطولات الصحابة :

كأنهم فوقَ ظهرِ الخيلِ نبتٌ رُبىً
من شِدَّةِ الحَزْمِ .. لا من شَدَّةِ الحُزُمِ

وحتى في كتاباته للأطفال ... - وشعراوى له باع طويل في أدب الأطفال - فإنه لا يحيد عن أسلوبه الصوفي في ممارسة الدعوة إلى الأخلاق الحميدة .. فيبعث بعض الخصال الإيمانية في ثنايا أغنية كتبها للأطفال الصغار في كتابه (حكايات وأغان على حروف الهجاء) - الجزء الأول - يقول :

ما فرقت منا الألوان
وإن تعددت الأوطان
فهكذا شأن الأديان
تحيي الإخاء بكل زمان

***

وفي الجزء الثاني من سلسلة كتاب (حكايات وأغان) وفي أثناء قصيدة تتحدث عن حرف (الذال) .. يورد شعراوى فيضاً من الخواطر الإيمانية يبثها في قلوب الأطفال وهم في بداية طريق العلم .. يتعلمون الحروف الهجائية يقول لهم :

(والذال) منه لذة الإيمـــــان
وذكر ربي ذاب في الأذهـــان
والذوق ، والذود عن الأوطان
وأشرف الآداب والمعـــــاني

وهكذا في الجزء الثالث والرابع من سلسلة كتابه السالف الذكـر يواصل السير على نفس الدرب. وقد أحسنت الهيئة المصرية العامـة للكتاب عندما قامت بإصدار هذه السلسلة من الكتاب علـى أربعة أجزاء .. كل جزء يشمل مجموعة من الحروف بالترتيب.

وفي أدب الطفل .. أسهم شـعراوى بجهـد مشـكور لبـث القيـم الإسلامية في قلـوب الأطفـال وكتـب (شعراً) مجموعـة كبـيرة مـن الألغاز عن رموز الدين والأنبياء والصالحين والأبطال الذين أبلـوا في الإسلام بلاءً حسناً .. كتب كل هذه الألغاز بطريقة تناسب الطفـل المسلم .. وسنقوم بنشر النماذج المتاحة من هذه الألغاز بإذن الله في الباب الثالث من هذا الكتاب ..

* * *

وفي قصيدة (لقاء الأحباب) التي كتبها الشاعر وهو في القاهرة وألقاها في حفل أسري أقيم أيضاً في القاهرة يقول :

جسمي هنا، والقلب في أسوان في النوب، بين الأهل والخلان
لكنما قلبي الذي في أضلعي قد فر من صدري إلى جيزان

ومع أن (جيزان) في أعماق جزيرة العرب .. هي المدينة التي استقر بها بعض أحباب شعراوى - وربما هو يقصد ذلك - إلا أن مشاعره الخفية نحو أرض الحجاز التي استقبلت رسالة الإسلام تطل بوضوح من خلال كلمات القصيدة كثيراً .. حيث يصف تلك البلاد بعد ذلك بأنها منبع القرآن ومغسولة بالإيمان .. والشاعر يستطرد في مآثر الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً في هذه القصيدة التي لم تكتب في غرض المديح ..

* * *

أما عن انفعالات شاعرنا الصوفي وسلوكياته عندما يكون في رحاب أولياء الله الصالحين فهي دليل على مدى تعلقه بحبهم فنجده في قصيدة منشورة سنة ١٩٧١ في مجلة العشيرة المحمدية .. وفي مناسبة ذكرى الاحتفال باستشهاد الحسين رضي الله عنه .. يقول :

هذا الحسين ... ترابه مِسك وَإشراق ورِيُّ
إني أقبلُ سِترَ مَنْ بالأمسِ قَبَّله النَّبيُّ
إنا بنوه ... وكلنا في الحبِ قلب فاطميُّ

ولا يكتفي شعراوى بأن يبث ما بأعماقه من شوق ووجد لآل البيت .. وإنما راح يتصيد انفعالات الآخرين التي تأتي على نفس الدرب ... ويتفاعل معها ، ويترجمها إلى اللغة العربية إن كانت في لغات أخرى .. وهذا ما فعله عندما وجد قصيدة للشاعر الزنجي المسلم الأمريكي / إبراهيم ابن سليمان ... وجدها وهي تفوح حباً للإسلام .. فترجمها حتى يعرف قراء مجلة (المسلم) مشاعر ذلك المسلم الذي أتى من آخر بلاد الدنيا ...

كما أن شعراوى لا يكتفي بحب آل البيت .. ولكنه يتعدى بمشاعره إلى أبعد من ذلك .. فهو يحب كل من يحب آل البيت ... ويذهب في ذلك كل مذهب .. كما يقول في قصيدة (الساهرون والنيام) المنشورة له في مجلة العشيرة المحمدية في مارس ١٩٧٣م .. عن ثواب تغريده المتواصل في حب آل البيت .. ويتساءل هل سيكون الثواب له وحده ؟ أم سيشاركه في ذلك أحبابه الذين لهم بعض الفضل عليه حيث شجعوه على المضي في طريق حب آل البيت .. يقول لأحد أحبابه في الطريقة متسائلاً :

أترى مثوبة ما أقــــول   إليك تزجى .. أم إليَّ ؟
هي للعشـــــيرة كلهـا   ولكل من عشق النَّبيّ ..

* * *

وإذا كان شعراء الإسلام من عهد حسان (رضي الله عنه) إلى الآن ينكرون ويهاجمون الأصنام منذ أيام هبل واللات والعزى ومناة، فإن شاعرنا الصوفي القدير - إبراهيم شعراوى - يغوص إلى

أبعد من ذلك بآلاف السنين ، حيث يهاجم أصنام الفراعنة الممثلة في الأهرام وأبي الهول والتماثيل القديمة . فيقول :

هِمتُ بالنــور والحيــاة هياما   وكرهت الضـــلال والأوهامــا

فأصيخوا : (لإن تُضيئوا سراجا   هو خير من أن تسبوا الظـــلاما

ثم قوموا مشمرين سراعـــا   لجهـــاد ، فقد سئمنا الكـــلاما

أيها النـائمون عند المســـلات قيـامـا لنعبر الأيـــامـــا

ويل (خوفو) الغبي ، سطَّر مجداً   بسيـــاط تمزق الأجســـامـا

وصمة الظلم والغبـــاء ترامت   في الصحارى ، فصُورت أهرامـــا

وأبو الهول مائل ، مسخ إنســـان بجسم يمثل الضرغامـــا

إن (خوفو) وقومه – حين ضلوا   مــلأوا الأرض بالغبــاء أثـامـا

الحياةُ الحياةُ تبســـم حولي   وتغني ... وأعبدُ الأصنامـا [1] ؟!!

* * *

(١) الاستفهام هنا بغرض الاستنكار ، بمعنى هل يليق أن أعبد الأصنام بشكل أو بآخر مع أن الحياة تبسم حولي وتغني ؟

ويبدو أن شعراوى قد أسكن في هامش شعوره وبؤرته كل الإسقاطات الصوفية ، حتى أنه إذا أراد أن يتحدث عن بعض المسائل الدنيوية الخالصة .. استدعى - دون أن يشعر - تلك المفاهيم أو الخلفيات وأودعها في متن القصيدة ... ففي قصيدة له بعنوان "مشروع توشكى" كان قد أهداها إلى مؤتمر أنس الوجود الثاني بأسوان في إبريل ١٩٩٩م .. يقول في منتصفها :

يوصيني أن أبذل عمري   وأنا أوصيه على ولدي

فيقول : جهادك يجعلني   أحمي أبناءك عند غدي

وواضح جداً أثر الخلفية الدينية عند شعراوي في طرحه للمسألة بهذا الشكل وبهذه الكلمات .. فهذه الأبيات مأخوذة عن قوله تعالى ﴿**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**﴾ [1] وهذا شيء طيب يتناسب مع العرق الذي يتصبب من الرجال السمر المكافحين في سباق مع

(١) سورة النساء : آية ٩.

الزمن .. حيث يجعل شعراوى لتلك الجهود المبذولة معنى دينيـاً ... ثم يقول بعد ذلك :

فالجهد – على درب الإيمان – طريق العـــزة والرغـــــد

فيقر أن الجهد – على أهميته – ليـس هـو كـل شـيء في سـبيل النماء والنجاح ولكن يجب أن يبارك هذا الجهد بأن يكـون مبـذولاً على درب الإيمان.

***

وفي نفس القصيدة يعرج بالحديث إلى منطقة (توشكي) ويصفها بأنها (مهبط كهان) .. ولا يخفـى أن الكهـان في الديانـات السـابقة هم الذين بذروا فكرة الاستغناء عن الدنيا والتوجه إلى الآخـرة تمامـاً .. وهي نفس الفكرة التي بنى عليها الصوفيـون مذهبهـم ، وطلقـوا الدنيا بما حفلـت واكتفـوا منهـا بـأقل القليـل في المـأكل والملبـس .. وشعراوى لم يعاصر تلك القرون السحيقة ليقرر لنا ذلك .. وليـس مؤرخاً أو شاهداً .. ولكنها النزعة الصوفية .. جعلته يختار أو يتوقع ماضي تلك المنطقة بهذه الصورة .. يقول شعراوى عن توشكي :

لم يك أرضاً نتحملهـا ونعد العدة لنفـــارق
بل كانت مهبط كهـان نعموا بظلال ونمـــارق
يهدون البركــة للوادي والحكمة كالمـاء الرائق

وهـذه الجمـل والـتراكيب والألفـاظ هـي ذاتهـا المفـردات التـي نسمعها كثيراً من الصوفية الذين يتفنون في استخدامها بشتى الصور والأساليب .. وكذلك فإن الأفكار الواردة في هـذه الأبيـات تحمـل نفس الدلالات التي يتحدث بها الصوفيـة عـن الأقطـاب والمشـايخ والأولياء ... وكراماتهم التي تتحرك معهـم وتبقـى حيـث حلـوا أو دفنوا .. (والظلال والنمـارق والمـاء الرائـق وإعـداد العـدة للفـراق) كلها كلمـات استـدعاها الشـاعر مـن قـاموس الصوفيـة المخبـوء في أعماقه .. وخلطها مع ضجيج المعدات الثقيلة والأوناش والحفـارات التي تعمل ليـلاً ونهـاراً في مشـروع توشـكي .. ليكـون قـد أسـهم بكلماته في إعادة تعمير بلاد النوبة .

وربما اعتبر شعراوى هذه القصيــدة في بـاب (الـدال علـى الخـير كفاعله) .. خصوصاً أن صحته وسنه المتقدم – أمد الله في عمره – لا يساعدانه على بذل الجهد والعرق في أرض النوبة الآن .. وكأنـه يتمثل بقول الشاعر / محمود سامى البارودى :

فلا تحقرن فضل الكــــلام .. فإنه

من القول ما يبني المعالي ، ويهدم

ومعروف للجميع أن المتصوفة دائماً يقولون بعض التوقعات عـن أحداث الزمان .. فهل كان إبراهيم شـعراوى كذلـك حـين كتـب قصيدته عن السد والنوبة من خلف السد وقال فيها :

فوراء السد .. كنز قد ورثناه عن الأجداد في ماضي الدهور

روحنا تهفو إليه .. وترفـرف

قال جدي : إن هذا الكنز مسحور مطلسم

سيفك السحر .. مصري بقلب يتألم .. وحديد يتكلم

بحروف من جهنم

***

والآن شاعرنا .. ومن كثرة جولاته في آفاق الأدب الصوفي .. ومن طول إقامته في رياض حبهم .. صار كلما تحدث في أية مناسبة .. درويشاً تتقاطر من فمه كلمات توحي بهمومه الخفية ... فهو لا ينسى نوبيته ولا يغفل عن أحداده المتصوفين الذين ينتمون إلى نفس البقعة المباركة التي يفتخر شاعرنا بالانتماء إليها .. يقول في قصيدة رثاء المرحوم / عبده حسون :

بربك .. إن رأيت (بلال)   أو سرت إلى (ذي النون)
فقل لهما : رأيت الأهل   والأحباب ينتظرون
ويحتاجون للدعوات   ترفع عزمهم .. وتصون
ويحتاجون للوحدة   تجمعهم .. فينتصرون
وصُن لي مقعداً في القدس   تحت العرش يا (حسون)

وفي نفس القصيدة .. يتسابق شعراوى مع الأيام .. ويتطلع إلى حسن الختام الذي يرجوه عند الله فيُعزِّي نفسه ويقول :

وإن طالت بنا الأيام   تحت الأرض منحدرون
ومنها تصعد الروح   إلى سر العلا المكنون

هنالك حيث نلقى الحور   والأحبـــاب ينتظرون
وألقى بينهـم (ذا النـون)   ألقى بينهـــم (حسون)

وإذا كان كل مـا تقـدم هـو تعريـف الشـاعر بنفسـه وبأسـلوب تفكيره ومذهبـه في الحيـاة ... فـإنني لـن أستطيع تقديـم الشـــاعر وصوفيته بأبلغ من هذا الذي قاله هو في قصائده العديدة المنشورة له في مجلة (المسلم) التي كانت تصدر عن العشـيرة المحمدية في مصـر .. وكذلك نشرت له بعد وقبـل ذلـك مـن قصـائد .. (وحيـث أن الرجل صندوق مغلـق لا يعـرف مـا بداخلـه إلا إذا تكلـم) [1] فـإن أشعار إبراهيم شعراوى الكثيرة هي خير دليل على ما في أعماقـه .. وليس ما قاله الآخرون عنه ..

فلو أمعنا النظر في إحدى قصائده المتأخرة (سنة ٢٠٠٠م) نجـده يغني للنوبة لأنها بثت في أعماقه الأخلاق الحميدة والتواضع وحـب

(١) حكمة عربية قديمة .. تمامها (الرجال صناديق مغلقة لا يعرف ما بداخلها إلا إذا تكلم الرجـل أو تحرك أو تصرف)

الآخرين ، وهذه المؤهلات الخلقية هي التي فتحت له باب التصوف كامتداد لنشأته ... يقول شعراوى في قصيدة (ترنيمة نوبية) :

غَـنِّ للنوبـــة غَنِّ في دعـــاء المطـمئن
أنـــا صوفيٌّ ونـــور اللـــه في قـلبي وعـيني
ورســـولُ اللهِ قيثـــارة إنشـــادي وفنّي

* * *

وبـــلادُ النوبـــة السمـــراء في دفء وحُسْن
علمتني الصدقَ والإيمـــان .. بالفضـلِ رعتني
وأنـــا في حِضْنهـــا أحيـــا بإشراقٍ وأمـن
قيمٌ حولي أراهـــا عُطِّـــرت في كل لـون
يا رسولَ الله – قومي – لا تدعهـم ، لا تدعني
ضُمُّهم .. بارِكْ خطـاهـم واحمهم من سوء ظـن
كلنـــا في ســـاحةِ المختـار – يا طه – نُغـني
كنْ شـفيعي .. قرِّبِ الغفـــرانَ مني ، وأعنّي

ويسلك بنا شعراوى في هذه القصيدة درباً من دروب الوفـاء .. وكأنه يحاول سداد ديون مستحقة عليه للنوبة ، الوطن والمجتمع .. فهو قد ذاق حلاوة القرب كما ذاق حلاوة التغني بالمديح .. ويـود من كل قلبه أن لا يحرم مجتمعه منها .. فيتحاوب ، ويتداول خلاصة تجاربه ويقول في نفس القصيدة :

ههنـــا الشعــر الـمُنغَّم لرســـول الله يُنْظَــمْ
ورســـولُ اللهِ تهديكَ خُطـــاهُ ، فترسَّـــمْ
ربُنَـــا ينظرُ للأعمــالِ ، لا الثـــوبِ الـمُهندَمْ
يسمعُ الشـاكي وإن كان حبيسَ النطـقِ ، أبكمْ
وإلهُ الكونِ يرعـــاني إذا ما الليـــلُ أظلـــمْ
مَدَّ لي ظـــلاً ، وكانت سُدُفُ النـــيرانِ تُضْـرَمْ
فـــإذا الطيْرُ يُغنّي عندمــــا الصبـح تَبسَّـــمْ
بينمـــا كانت قـــلاعُ الظلـــمِ حولي تَتَـهَدَّمْ

* * *

ألفُ حـمدٍ للذي مـــدَّ يداً نـحوي وأنعــــمْ

أيهـــا النُّوبيُّ : للإيـمانِ جـــــاهدْ وترنَّــــمْ
تَـضْمَنْ الـجنَّـةَ في الأُخـــرَى ، وبالإيـمانِ تَـغْنـمْ
غَنِّ للنوبـــــةِ واعلمْ أن ريح النـــوبِ بلسَـــمْ
فَبِهـــــا القـــــرآنُ يُشـفِي كُلَّ روحٍ تَتَألَّمْ
والنَّبيُّ الـمُصطفى في كـلِّ قـــلبٍ يتكـــــلمْ
وعليـــــه اللهُ صلى وعليـــــه اللهُ سَـــلَّمْ

وكل هذه الشواهد المضيئة هي التي دفعتني للكتابة عن هذا الشاعر .. وأن أعرض عليكم في الصفحات التالية ما قاله أو نظمه في مجالات التصوف ...

فماذا قال الرجل ؟؟

وهنا .. نتوقف قليلاً لإعادة ترتيب الأوراق .. لننطلق إلى أعماق الرجل .. دون أن يفلت من بين أيدينا قافية واحدة قد تكون لها دلالتها ..

ولقد صَنَّفتُ الأعمال الشعرية المتاحة الآن لشعراوى في المجالات الدينية وقَسمتُها إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى تمثل خمسة نماذج تعطى صورة متكاملة للفكر الصوفي عند الشاعر .

المجموعة الثانية عبارة عن ثلاث عشرة قصيدة تروى لنا قصصاً من التراث الديني .. بأسلوب شعري جذاب يؤكد أن الشعر لا زال ديوان العرب إلى يومنا هذا .. ولم يتراجع عن هذه المكانة ..

وفي المجموعة الثالثة والأخيرة .. وضعت ثمرة جهوده الدعوية للرقي بالمستوى الثقافي للطفل المسلم .. بأشعاره وألغازه التي تزرع في فلذات أكبادنا حب البحث والتنقيب في تاريخ الأجداد ..

وأنا إذ أقدم أعمال **شاعر النوبة العظيم إبراهيم شعراوى** أعرف أن لكل شيء إذا ما تم نقصان .. ولكني مقتنع تماماً أن ما لا يدرك كله لا يترك كله .. ولهذا كان هذا الكتاب .

المجموعة الأولى

النموذج الأول .. قصيدة الساهرون والنيام

النموذج الثاني .. قصيدة هذا الحسين

النموذج الثالث .. قصيدة إلى سيدي أبي البركات

النموذج الرابع .. قصيدة رمضان "مترجمة"

النموذج الخامس .. قصيدة تكريم د. عبد الحليم محمود



تعمدت أن أقتطع هذه النماذج الخمسة من قصائد أستاذي / إبراهيم شعراوى في مجموعة مستقلة لأنها تعبر بصدق عن فكره وتوجهه الصوفي .. وتوضح فلسفته في كل ما يتعلق بالمتصوف من علاقات مع نفسه أو الآخرين وفي علاقته بالغيب كله زمانياً كان أو مكانياً .. ويتجلى في ذلك نكران الذات من ناحية وتوقير الآخرين من ناحية أخرى .

ويبدو أن شعراوى وجد في هذا الفكر ضالته .. لأنها هي نفس المدلولات التي يتربى عليها الإنسان النوبي .. شاعراً كان أم ناثراً .. أديباً كان أو غير ذلك بصرف النظر عن ثقافته وعلومه .. فالإنسان النوبي رمز لنكران الذات بكل تفان .. كما أنه رمز لتقدير الآخرين بكُلِّ إخلاص ولا أريد أن استطرد في هذا الموضوع .. ولكني ذكرته لتوضيح أثر نوبية إبراهيم شعراوى في توجهه الديني الصوفي .

والقصائد أو النماذج الخمسة التي تشكل هذه المجموعة تتقاسم أسلوب وفكر ومنهج شعراوى في الأدب الإسلامي الصوفي .. كما أنها نافذة تطل على أعماق الشاعر وخلفيته الثقافية وإمكاناته اللغوية وانتماءاته القوية وتمسكه بقناعاته الثابتة .

النموذج الأول

كلنا هكذا .. ساهرون ، ونيام ..! فئة تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .. وفئة فاتهم ويفوتهم على مر الأيام والسنين خير كثير .. وهناك فئة ثالثة تقف بين بين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. ولكن أي الفريقين هو الذي يستطيع أن يأخذ الفريق الأخير إلى صفه ؟ .. فليتقدم كل فريق من الأولين بالدعاية لنفسه لمحاولة كسب الجولة الاستعراضية .. ومن أقنع بما لديه ازداد أتباعه .. ومن لم يعرض فكره بأسلوب جذاب .. سترد إليه بضاعته ولن يزداد كيل بعير وربما انفض من حوله آخرون .

وهاكم إبراهيم شعراوى المتصوف الساهر الذي كان يفارق نومه ليذهب إلى حلقات الذكر في مساجد السيدة زينب وسيدنا الحسين والسيدة نفيسة رضي الله عنهم أجمعين .. شعراوى تقدم ليدلي بدلوه ... ولم لا ، وهو الذي ذاق حلاوة القرب من الله وهو يتنقل ما بين مساجد القاهرة طوال الليل مع رفاقه المتصوفين ،

حتى إذا اقترب وقت صلاة الفجر هموا بتعطير المساجد حتى تستقبل المصلين في بداية يوم جديد وهي معبقة بأطيب الروائح التي تبعث الراحة في نفوس العابدين .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد .. ولكنه وقد انضمَّ إلى (العشيرة المحمدية) وأصبح عضواً بارزاً فيهم بدأ يطوف معهم المحافظات المجاورة للقاهرة وسافر كثيراً إلى أعماق الريف والقرى .. ولم تكن أيامها وسائل المواصلات متاحة وميسرة وأحياناً كان التنقل يتم بالدواب ..

ورغم أن المشقة التي كانوا يكابدونها من القسوة بمكان ... إلا أن فرحة الناس وحلال الاستقبال والحفاوة التي يجدونها في القرى التي يذهبون إليها كانت تمسح عنهم عناء السفر ..

وكم قضوا من ليال طوال ساهرين في تلك القرى البعيدة .. وكم تمنوا لو طالت الليالي وتكررت السهرات ..

هذا هو إبراهيم شعراوى .. الذي يتحدث عن الفرق بين الساهرين والنائمين من خلال تجربته هو .. ففي قصيدته التي ألقاها في حفل تكريم بعض الحجاج من رفاقه واحتفالاً بقدوم عام هجري جديد .. يعرض أو يستعرض شعراوى رؤيته :

لا تحسبوا أن النيام كالساهرين على الضرام

وبعد هذه البداية التي استهل بها الشاعر قصيدته ، موضحاً أن لكل شيء ثمناً وأنه لا يستطيع كل إنسان سداد ضريبة السهر .. يستعرض مدى صعوبة طريق الصوفي المليء بالشوك والنار التي تنضج والسقام وكأنه يستلهم معاني الحديث النبوي الشريف " حفت الجنة بالمكاره" وفي المقطع الثاني من القصيدة يتناول جانباً من قصص آل البيت .. مع التلميح لبعض ما نالهم من أذى .

وفي المقطع الثالث يعرج بحديثه إلى شرور مرت وجاء من بعدها خير فيه دَخنٌ [1] .. وفي المقطع الرابع والأخير من قصيدته يتجاوب

(١) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سيأتي على الناس آخر الزمان خير فيه دخن".

شعراوى مع أساتذته في ذلك الدرب الطويل الذي يسير فيه .. يصحبهم جميعاً الحب والإقدام والتقدير مقروناً بالعرفان بالجميل ... وهو درب كما قال عنه الإمام أبو حامد الغزالي : "طريق وعر .. قليل من الناس من يقصده ، وقليل من القاصدين من يسلكه ، وقليل من السالكين من يصل إلى منتهاه" ..

***

وأنا لا أتناول القصيدة في جوانبها الأدبية أو البلاغية أو الجمالية .. ولا أتعرض لها بدراسة نقدية أو شرح .. ولا قصدت شيئاً من هذا القبيل .. ولكني أردت فقط أن أتسلل من بين كلمات ومعاني وأبيات القصيدة إلى ما هو أبعد من ذلك .. لأستشف النظرة الصوفية لإبراهيم شعراوى .. ورغم أن المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة وألفاظها وجو النص بالكامل والأبطال الذين تناولهم المضمون .. كل ذلك ينص صراحة على أن القصيدة صوفية شكلاً وموضوعاً .. إلا أن ما يعنيني هو ما قد خفي بين السطور من إيحاءات وخبايا وتحتاج إلى استنباط .

يقول شعراوى عن المحب الساهر :

يمضي إلى ليل العـذاب بوحي قلب مستهـام
يا كم دنت منه الثمـار وأقبلت دنيا : فصـام

وكأن الليل (ليلان) ليل للنائمين وليل للساهرين .. وليل الساهرين ينقسم أيضاً إلى نوعين : ليل العذاب والبلاء ، وليل الحب والسلام الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالمرور الجبري من خلال بوابة العذاب والشقاء ، مع كثير من الجهاد للنفس مقروناً بالصبر الجميل ... كما قال أحدهم :

بصرت بالراحة الكبرى ، فلم أرها
تنال ... إلا على جسر من التعب

وما دام آخر الطريق سيؤدي إلى ليل الحب والسلام فلا بأس لأن ذلك المحب سيسلك وعورة ليل العذاب صابراً محتسباً بل .. وبقلب مستهام .. زاهداً عن الدنيا .. صائماً رغم تنوع ألوان

الثمـار اليانعـة مـن حولـه .. أو كمـا يقـول الزاهـد النوبـي الشـهير (عثمان بن ثوبان) وهو المعروف باسم (ذو النون المصري) قال :

إن المحب هو الصبور   على البلاء لمن أحبـــه

حب الإله هو السرور   مع الشفاء لكل كربـه

فـالمحب الـذي يتحـدث عنـه شـعراوى يسـلك طريقـه إلى ليـل العذاب صائماً والسؤال : أين قابل شاعرنا ذلك المحب ؟ .. إن لـم يكن هو ذاته سالكاً نفس الدرب .. ثم كيـف عـرف شـعراوى أن ذلك المحب يمضي بوحي قلب مستهام ؟ .. لابد أنـه جـرب ذلـك .. وهذا هو ما قصدته عندما قلت إن هناك أموراً خافية بين سـطور القصيدة ونماذج ذلك كثيرة جداً ...

***

ألا يدل ذلك على صوفية إبراهيم شعراوى ؟

الإجابة علـى هـذا السـؤال ستكون مـن خـلال نـص قصيـدة : "الساهرون والنيام" التي نشرت في مجلة (المسلم) في مارس ١٩٧٣م "وكانت قد أُلقيت في الحفل الجليل الذي أقامتـه العشـيرة المحمديـة

بمسجد المشيخة تكريماً للمحمديين واحتفالاً بالعام الهجري الجديد. وكان ضيفاه : (١) فضيلة الدكتور / عبد الحليم محمود (٢) سيادة الفريق / سعد الدين الشريف .. حيث ألقى الشاعر المحمدي السيد الأستاذ / إبراهيم شعراوى هذه التغريدة"

وهذه الفقرة الموضوعة بين الأقواس منقولة كما هي من مجلة (المسلم) العدد المذكور .. وليست من عندي .

الساهرون والنيـــام

لا تحسبوا أن النيام : كالساهرين على الضـــــرام
الشوك للصوفي يسري في العروق وفي العظـــــام
والنـــار تحرقه فتنضجه فيشدو للســـــــلام
ويقول : زدني (أنت تذكرني) إلهي ، بالسقـــام
بالحب قد ذاب الهجـير كأنه ريح الخـــــزام
عطراً تخضل بالندى الرقراق مشـبوب الغـــرام
يمضي إلى ليل العذاب بوحي قلب مستهـــــام
يا كم دنت منه الثمار ، وأقبلت دنيا : فصـــام !!
لا تحسبوا أن النيام : كالساهرين على الضـــرام

* * *

قد كان طفـــلاً ذلك البطل الشهـــيد أبو الحسن
وأبو الحسين وزينب ... أبنـــاء فاطمـــة ... ومن
والمسلمون جمـــاعة غربـــاء قد فقدوا الوطـــن
قالوا لهم : فلتسجدوا للصخر ، قالوا : لا ، ولن !!

إن الـذي غســـل الإلــه ضمــيره ، لا يمتهن
من أجل وجهك يا إلهي ، كل ما نلقى حســــن
واسأل ســراقة وهو في الصحراء ، هل يأتي زمن ؟
تتحطم الأصنـــام لا يبقى على الدنيـــا وثن !!

***

ومضى زمـــان الإثم يتبعه زمـــان مشـــرق
(العـلم والإيمـــان) فيه ... وفيه شمس تشـرق
وحقيقة بيضـــاء فوق سمـــائنـــا تتألق !!
والكل قلب واحــــد في الخطب لا يتفـــرق
قل للصغـــار الأبريـــاء : أضــلكم من ينعق
من أشعلوا نار الشقـــاق وشقشقوا وتشرنقـــوا
لكنمـــا الشعب الأبي الحــــر لا يترفـق
من مزقت كفـــاه وحدتنـــا ... غداً يتمزق

***

يا سيدي ، راعي العشيرة ، يـــا حبيبي يا (زكي)
إني أحبـــك ، أنت مرسوم هنـــا في مقلتي

أنــت الــذي أسكنــت في رئـتي أن الله حي

وزرعت في قلبي حديث القدس ، في صبر (على)

واليــوم هــأنذا أغني للنبي بكـــل حي

أترى مثوبــة ما أقول ، إليك تزجى ، أم إلي ؟!

أم أنهــا للشيخ "جبر" إذ يشـد على يدي ؟!

أم أنهــا لأبي التقى (وأبو التقى) قلب تقي ؟!

هي للعشــيرة كلها ولكل من عشــق النبي !!

النموذج الثاني

اكتفى أهل اللغة منذ زمن بعيد بتقسيم الزمن إلى ماض ومضارع ومستقبل .. أو كما نسميه في حياتنا العملية (أمس واليوم وغداً) .. واستمر الحال كذلك إلى أن جاء إبراهيم شعراوى بوجهة نظر جديدة .. وأعاد تحليل وحدات الزمن وتجزئة مفرداته .. فقسم الأمس إلى أمس حبيب وأمس بغيض .. ثم التفت إلى مفهوم من المفاهيم المتوارثة التي جعلت لدم الشهيد رائحة طيبة .. وأضاف إلى هذه المفاهيم بُعداً جديداً بأن دم الشهيد له إيقاعات وأنغام ، كما أن له من جمال الطبيعة نصيباً وافراً من الوشى والزهر .

ولولا أنني حددت منهجي في هذا الكتاب وحصرته في تتبع الجوانب الصوفية في شعر الأستاذ / شعراوى .. لولا ذلك لتماديت في تناول هذه القصيدة بالشرح والتحليل والتعليق ، لأنها واحدة من أجمل القصائد التي كتبها الأستاذ في هذا الغرض الشعري .. كما أنها خالية من بعض المغالاة أو المبالغات التي كنا نلمسها في بعض أعماله الأدبية الأخرى في ذات المجال .

في هـذه القصيـدة التـي ينـافح فيهـا الشـاعر الصـوفي خصومـه (الأدعياء) -حسب تعبيره- نلاحظ أن الحركـة الدءوبـة للأحـداث تـأخذ إيقاعـاً سـريعاً .. كمـا أن مفـردات المكـان أخـذت مسـاحة شاسعة في ثنايا النص .. وعلى سبيل المثال .. (الحقيقة فوق الحقيقـة .. والروض الجني تحت ظـلال كتـائب القـرآن .. والجيـوش الخفيـة خلف جيوش المسـلمين ... وحقـائق تنمـو في سـاحات الفـداء ... وهكذا) .. كما أن "التضمين والتبعيض" كان لهما القدح المعلى في سرد المفاهيم .. وبالتالي سنجد أن كل الجماليات الممدوحة ذكرت بكثرة ملحوظة ... أما القبائح المذمومة .. فإن الشاعر يتحاشاها .. وإن لزم ذكرها فإنه يلمح لها تلميحاً على قدر الضرورة ..

فبالنسـبة للجماليـات .. نجـد المسـك والإشـراق والارتـواء في بدايات النص تصـب في القلـب التقـي والقلـب الربيعـي .. وبنفـس الدرجة نجـد العطـر والأنغـام والوشـى تنبعـث في النهايـات لتكمـل الصورة الجميلة التي يرسمها الشاعر بريشته كإطـار وكمحتـوى .. وبين هذا وذاك نجد دين الله وهو يغسل وجه الدنيا بنور وضيـاء ..

وكل هذه الجماليات التي تأسر القارئ وتسلب وجدانه ، تجبره على أن يطرق إعجاباً بهذا العرض الشيق .

ولأن الشاعر / إبراهيم شعراوى يبدو وكأنه واثق ومتأكد من هذه النتيجة التي خطط لها بمقدرة فائقة نغبطه عليها .. فإنه يطلب من القارئ - إن لم يكن يأمره- أن يتفاعل ويتجاوب معه في منظومته الشعرية والشعورية .. فيختتم قصيدته بدعوة يوجهها إلى الناس .. أو بتعليمات واجبة النفاذ يصدرها .. قائلاً :

أحباب آل البيت حيوا نور آل البيت .. حيوا

ورغم هذه النهاية الدعوية الصوفية لقصيدة إبراهيم شعراوى .. إلا أن ما جاء في بدايتها هو الذي أخذ يستشري بين كثير من الناس ... والبيت الأول سيتردد على أسماع الأجيال إلى حين .

هـذا الحسـين

مـا زال ينكـره الـدعيُّ   وسنـاه في الآفـاق حيُّ

هـذا الحسـين ترابـه   مسـكٌ وإشـراقٌ وريُّ

إني أُقبِّـلُ سِتـرَ مَنْ   بالأمـسِ قَبَّـلهُ النبيُّ

إنّـا بنـوه ، وكلنَـا   في الحـبِ قلـبٌ فَـاطِميُّ

وحقيقـةٌ فـوق الحقيقـة   صبُّهـا فينـا عليُّ

وعليٌّ والـدُه الحبيـبُ   وَقَلبـه القلـب التقي

قلـبٌ ربيعيٌّ فحيـوا   كل آل البيت ، حيـوا

يـا أمس فيـك الريحُ   والإعصـار والموج العتي

الجـاهليـةُ عربـدت   وسـلاحها صخر وكيُّ

فَـإذا بدينِ اللـهِ دينٌ   عَـزَّ فيـهِ الآدمـي

يأتي إلى الدنيـا فيغسل   وجههـا فجـرٌ وضيٌّ

يـا أيهـا الأمس الحبيب   وأنـت جـبريل ووحـي

وكتـــائب القـــرآن تحت ظـــلالهـــا روض جنيُّ

المســلمون كتــــــائبٌ من خلفهـــــا جيش خفي

وعلى الطـــريق الوعــــر إنَّ الشـــوكَ يَعـرِفه الأبي

لا يعرف الشكـــوى أخـــو الإســـــلام ، فهو أخ قوي

ودمــــــاؤه فـــوق الثرى عطـرٌ وأنغــــــامٌ ووشي

يـــا ســـيد الشهداء ، فوق دمــــــاك زهـــر ألمعي

تنمو بســــــاحته الحقيقة يـــا حســـين وتستضي

أحبـــاب آل البيت ، حيوا نـــور آل البيت ، حيـــوا



النموذج الثالث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**" .. وبعد ذلك وبناءً عليه ، تقدم أحد الفلاسفة المسلمين الذين تشربوا فكرهم من أنقى نبع وغذوا رؤاهم من مائدة الإسلام ونهلوا علومهم من عطايا رسول الإسلام .. قال هذا الفيلسوف : " قل لي من تصاحب أقل لك من أنت " .. وبين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قول الفيلسوف ، يتراوح قول مأثور جرى مجرى المثل على ألسنة الناس على مر الأيام والسنين .. وذلك هو قولهم : (الطيور على أشباهها تطير) .

وعند تطبيق ما سبق على أرض الواقع .. تتحول النظرية إلى تجربة إنسانية تثبت في الوجدان .. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ... فعندما قال الشاعر الجاهلي (طرفة بن العبد البكري) في معلقته الشهيرة قوله :

(فإن تبغني في حلقة القـــوم تلقني

وإن تلتمسني في الحوانيت تصطد)

وبذلك وضح لنا (طرفة) نوعية رفاقه وأمـاكن تواجـده المسـتمر .. لنستنتج نحن من خلال معرفة رفاقه وإخوانه ، من هو .. أو كأنه حدد لنا شخصيته اللاهية العابثة المشغولة بملذات الدنيا .. حتى قبل أن ينص على ذلك صراحة في أثناء القصيدة .. نقول إنــه حـدد لنـا شخصيته بأن وضح نوعية أصحابه في كل حالاته .. معنى ذلك أن من البلاغة الأدبية أنك إذا أردت أن تحدث الناس عن نفسـك علـى استحياء .. فلتذكر لهـم مـن هـم أصحـابك وخلانـك ورفـاقك .. وتترك لهم المجال مفتوحاً لاستنباط مكنوناتك النفسية وتوجهـاتك الفكرية وقناعاتك الشخصية .

* * *

وعندما يحدثنا إبراهيم شعراوى في قصيدة له بعنوان (إلى سـيدي أبي البركات) التي نشرت في مجلـة العشـيرة المحمديـة (المسـلم) في يناير ١٩٦٣م .. فإنه يعدد لنا من رفاقه مجموعة مـن أسـماء الذيـن

كان لهم باعٌ طويلٌ في الطرق الصوفية .. مثل (أبي البركات ، الزكى بن الخليل ، والشاذلي ، والمكي ، وأبو عليان) .. كما يكرر أسماء لها قداستها في كل الأوساط الإسلامية .. مثل (المصطفى ، الخليل ، الحسين ، جبريل) .. عند ذلك ندرك في أي الميادين يقف شعراوى شاهراً قلمه ، وكأنه يقول للناس : هؤلاء رفاقي وأصحابي الذين أعتز بهم وبرفقتهم .. ومن أراد أن يعرف عني معلومة .. أو يتقول عليّ شيئاً فليتبعني وراء هذا الوادي ... إذن .. فلنتبعه ولا حرج .

فشاعرنا إبراهيم شعراوى يصف (أبا البركات) في عنوان القصيدة بأنه (أستاذه ورائده في الله) .. ثم في بداية القصيدة يوحي لنا بشكل غير مباشر بأن (أبا البركات) وهو المنشد الذي سيفتت بداخله صخور الإعراض ... ثم يصفه في أثناء القصيدة بأنه صاحب روح نقية شفافة وصاحب كرامات .. ويتفاعل شعراوى مع كل هذه المعطيات والصفات التي يراها في أستاذه (أبي البركات) ورفاقه ... ويتحاور معها لدرجة أنه يستدعي التاريخ

ليشارك في هذا الحفل البهيج الذي حول مواخير الليالي السوداء التي كانت تتراءى في عيني الشاعر وأبدلها بمساجد تزدهي بألوانها وأنوارها .. فيقول شعراوى :

يا أيها التاريخ : سجل في صحائفك الوضية
عهد (الخليل) وسيدي (المكي) شيخ الخلوتية

وما كان ينبغي لشعراوى أن يستدعي التاريخ لولا أنه رأى أهمية تلك الأحداث وتوابعها .. وما كان ذلك إلا ليسجل مفاخر عايشها بوجدانه ومارسها بقلبه وجوارحه ..

* * *

ويبدو أن حاسته الشفيفة ألهمته أن هذه اللحظات ربما لا تتكرر إذا فرق هادم اللذات بين الأحبة ... أو مزقت ظروف الحياة تلك الأواصر ... أو تنكرتها الأيام بعد ذلك إذا طال عليها الأمد ... يقول شعراوى :

الكل قد صعدوا إلى أفق السماء ... سوى بقية
في بيت سيدنا (أبي البركات) ، ذي الروح النقية

حتى اختيار شعراوى للأسماء .. (أبو البركات ، أبو عليان ، سيدي المكي) فإنها محاولات صادقة للرجوع بنا إلى ذلك الزمان الجميل الذي كان الإنسان يدعي فيه بلقبه أو كنيته .. زمان الرعيل الأول من رجال الدعوة الإسلامية .. جيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ..

ومتابعة نص القصيدة تفسر لك ما أوجزته .

إلى سيدي أبي البركات

أُستاذِي وَرَائدِي في الله

إني لأطــلب منشـــداً مدداً على طــول المدى
لينـير لي قلبي ، يفتــت فيـــه صخــراً جلمدا
يَـــا آل بيت المصطــفى أنـــا (عندليب غــردا)
في جنةِ المختَـــار ، في روضِ المكــارمِ والهُـدى
ولـــذا أتيـــت إلى (أبي البركـــات) [1] ألتمس الندا
جئت (الزكي ابن الخليـــل) هنـــا وجئت (محمدا)
(الشـــاذلي) ... وإنه روح (الحسـين) تـجددا
المصطــفى مـــا زال في بيت (الخليـــل) مخـلدا
قد كانت الدنيـــا مواخـــيراً وليـــلاً أســـودا
وبفضـــل فضلك (يـــا زكي) ، بدت لعيني مسجـدا

* * *

(١) أبو البركات : كنية السيد الرائد كما يكنى (أبا عصام) باسم ولده.

وأدرت وجهي نحـــو (قايتبـــــاي) للقمم العليـــه

لأرى (خليـــل الله إبراهـــيم) روحـــاً سرمديـــه

(جبريل) نغمها لتحيـــا غنـــوة في خـــافقيـــه

ولتنشـــر الأنـــداء والبركـــات بين الآدميـــه

يـــا أيهـــا التـــاريخ سجل في صحـــائفك الوضيه

عهـــد (الخليـــل) وســـيدي (المكي) شـــيخ الخلوتيـه

و (أبو عليـــان) الذي قـــد كان معجزة البريـــه

قد كان نصـــراً للهـــدى إذ كان شيخ (النـــاصريه)

الكل قد صـــعدوا إلى أفق السمـــــاء ســـوى بقيه

في بيت سيدنـــا (أبي البركـــات) ذي الروح النقيه

* * *

كم من كرامـــــاتٍ رأيتُ على يديهِ ومعجـــزات

الســـاهر الليـــل الطويل مع التوســـل والصـــلاة

جبريل يقضي الليـــل يحرســـه وأرواح الهـــداة

كم كفكف المختـــــار بين عيونه دمع الشكـــــاة

لا من مآسيـــه ، ولكن من ضـــلالات العصـــاة

أنت الذي علمتنـــــــا : الله فـــوق يد العتـــاة
إن الذي سوى حيـــاتي سوف يحفظ لي حيـــاتي
ويصونهـــا من قسوة الظـــلام ، أو ظلم القسـاة
الله درعي .. ما الذي أخشـــاه من جيش الطغـاة ؟
والمصطفى خير المشـــاعل في الليـالي المظلمات

***

المصطفى .. وإذا ذكرت المصطفى : فعليه صـــلو
ولتذكروا أحبـــــابه فعلى طريق النور نسـل
فجـــدارهم في روعـــة الفولاذ .. لكن لا يفـل
المصطفى ... إني رأيت سنـــاه في أرضي يطـــل
أنا في ظلالك يا (أبا البركـــات) أنشـد لا أمل
إني أحبـك (يـــا زكى) وأنت للتكريـــم أهـــل
فامـــدد إلى يـــداً ، وبـــاركني ، فما بهواي ختـل
إني أذيب هـــواك ، أسكبه بإنشـــادي فيحلو
يـــا قمة يسمو بها شعـــري على الدنيـــا ويعلو

النموذج الرابع

اسمحوا لي أن أغير أسلوب العرض في هذا النموذج فانقل أولاً بالنص والرسم كل ما جاء في الصفحات (٢٢، ٢٣) من مجلة العشيرة المحمدية (المسلم) في عدد يوليو ١٩٦٦م كاملاً ... بما فيها رسالة الشاعر / إبراهيم شعراوى التي أرسلها إلى المجلة برفقة القصيدة والتي يقول فيها :

سيدي وشيخي ... ... نفعنا الله بنفحاته

أما بعد ، فقد صدر عن دار "الشعب" بالقاهرة ديوان باللغة الإنجليزية للشاعر الزنجي الأمريكي المسلم "إبراهيم بن إسماعيل" برسوم الرسام الزنجي المسلم أيضاً "حسن عبد الله" الذي سيقام له معرض رسم قريباً جداً .

والديوان يصور الآلام التي يعانيها المسلمون الزنوج في بلاد يسيطر عليها اليهود الإسرائيليون والثراة المكتنزون والملاحدة الماديون الذين يكفرون بكل قيمة ما عدا الدولار.

وأعتقد أن مجلة "المسلم" سوف تهتم بهؤلاء المسلمين الذين تستضيفهم الآن بلادنا لا سيما أنهم صوفيون !!

ولقد كنت أنا في شعري أهتم بسماحة الإسلام ومساواته ونظرته للألوان فأقول :

امض في الصحراء يا حادي المطي   إن بي شوقاً إلى أرض النبي
أنا نوبي ، وفي نوبيتي   شفةُ الزنج وأنفُ الحبشي
يا رسول الله قد علمتني   أن في الأجناس لا فضل علي !!

ثم أنا محمدي أنوب عن العشيرة والمسلم فأرحب من كل قلبي بهؤلاء الأدباء والفنانين المسلمين الذين لم تقف عقدة اللون عائقاً بينهم وبين الإبداع والانطلاق !!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونشرت المجلة ما يلي :

قصيدة "رمضان" للشاعر الزنجي الأمريكي المسلم (إبراهيم بن سليمان) ترجمة الشاعر النوبي (أبو الإلهام إبراهيم شعراوى) وتلك هي القصيدة :

إن شوقي وأنا أحيا بأرض مسلمه

لم يعد يذكر دنيا الغرب مثل الهمهمه

يا بلاد الخير والإسلام .. أرضَ المرحمه

لي أخ ضاع بأمواج الليالي القاتمه

كان – ويلى – يكسر الخبز ويسقي ألمه

ها ههنا في مصر .. أو في أي أرض صائمه

مزق المدفع ديجور الليالي المظلمه

يؤذن الناس بصوم ، لا بحربٍ نهمه

ها هنا الناس يصلون .. وتبدو نغمه [1]

(١) يشير إلى حلقة الذكر التي يستروحون فيها القرب من الله فيعوضهم البعد عن الناس.

فيميلون نشــــــاوى ليعُــدوا أنعمـــه

لم يعد في الأرض سلطـــان لليل الظلمـه

لحظة ثم يضيء الفجـــر .. فجر الكلمـه

يقبل العـــيد وئيـــداً .. بخيـــول معلمـــه

وتحييـــه قلـــــوب ... ويحيي أمـــمه

والكتاب الطاهر – القرآن – رمزُ العظمه

ونبيٌّ ختم الرســــــل بأذكى كلمـــه

ودروس فيك يا شهر الرضا والمرحـمه !!

وبعد استعراض نص القصيدة كما ترجمها الأستاذ / إبراهيم شعراوى .. يبقى سؤال ... هل أتداخل مع المعاني التي جاءت في ثنايا النص من خلال (إبراهيم أمريكا) أم أتداخل مع النصوص التي حملت تلك المعاني من خلال (إبراهيم النوبة) ... وإن كان (الإبراهيمان) على درجة متقاربة من الشفافية في تناول شهر رمضان المعظم ... هذا بمشاعره وهذا بكلماته .. ولو قُدِّر لي أن

أقرأ نص القصيدة في لغتها الأصلية قبل الترجمة لكانت المهمة أسهل وكان المسعى أنجع ..

فإنني الآن انظر إلى الشاعر الأمريكي من خلال شعراوى وبعيونه هو .. وليس بعيوني أنا ... وإذا قلنا إن كل إناء ينضح بما فيه... فإن هذه القصيدة الرمضانية لهذا الشاعر الوافد من بلاد بعيدة والمنشورة بلغة غير لغة المنطقة ... لم تكن لتلفت نظر شاعرنا المتصوف إلا لأنها وافقت هوىً عنده .. هذا الهوى المشترك هو (التصوف) ...

* * *

وإذا دققنا النظر في البيت الأول ، فإن فيه إيحاء بليغاً يعبر عن شعور المسلم الذي يعيش في أوساط غير إسلامية ... حيث يفتقد أي مظهر من المظاهر الإسلامية سواء كانت احتفالية أم دينية .. ومن هذه المظاهر التي يحرم منها أولئك المغتربون عن ديار الإسلام (شهر الصوم) الذي لا يجد خصوصية عندهم ..

ولذلك كان مما لفت نظر (إبراهيم الأمريكي) ذلك المدفع الذي هو رمز الدمار في بلاده وقد تحول إلى رمز للسلم والسلام ... ورأى كيف يتجمع الناس حول موائد الإفطار مع صوت المدفع .

ومن الواضح أن إبراهيم شعراوى التزم بالترجمة الدقيقة الأمينة .. ولم يغير في ترتيب الأبيات .. فتلاحقت الأبيات بدون ترابط .. ولكن ما يعنيني من القصيدة هو تلك الروح الصوفية المتدفقة من بين الكلمات التي انسابت حاملة كل ما بُثّتْ من خلالها .

النموذج الخامس
"الأخـــير"

كلنا يعرف أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق كما نص على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أما تلك العطور الإلهية التي تسيل في دم إنسان ما إذا تمزقت العروق منه .. فذلك هو العجب ... ولا أدري في الحقيقة من أين جاء أستاذنا / إبراهيم شعراوى بهذه المعادلة ... هل هي شاعريته المتقدة بصفته (أبو الإلهام) كما أطلق عليه رفاقه في العشيرة المحمدية ؟ .. أم أنها عين الرضا التي هي عن كل عيب كليلة ؟ .. أم أنه الحب المفرط الذي عشش في أعماق شعراوى وباض وأفرخ لصالح التصوف والمتصوفين ...

أم لا هذا ولا ذاك .. ولكنه دم الشهيد الذي هو أطيب عند الله من ريح المسك .. خصوصاً أن بعض المصادر أو المراجع اعتبرت (الحلاج) شهيداً لقي مصرعه في معركة فكرية بينه وبين خصومه.

كل هذه المداخلات أثارها شاعر النوبة / إبراهيم شعراوى في قصيدة ألقاها في حفل تكريم المرحوم الدكتور / عبد الحليم محمود .. وكانت العشيرة المحمدية قد أقامت هذا الحفل في منتصف ١٩٦٣م .. وهذه القصيدة فيها من المعاني أكثر مما فيها من الأبيات أو الكلمات .. وفيها من الحب العميق والمشاعر النبيلة أضعاف ما فيها من الإعجاب المرحلي .

وهي قصيدة قصيرة مكثفة مضغوطة .. ولو تحدثنا عنها بلغة العصر (الكمبيوتر) لقلنا أن هذه القصيدة عبارة عن (ديسك) صغير يحتوي صفحات كثيرة من الشعر والنثر والصور ... أو بمعنى آخر هي إيجاز بليغ لكثير من المشاعر التي احتفظ بها الشاعر في سويداء قلبه ... والقصيدة رغم قصرها في غاية الجمال ... ولو أخذتني العزة - بغير الاثم- وحاولت شرح تفاصيل القصيدة لأصبحت كالذي يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .. لأن متابعتكم لنص هذه القصيدة بالذات كما هي .. ستكون أجمل وأفضل من قراءتها من خلال مداخلاتي ..

يقول إبراهيم شعراوى :

(عبد الحليم) عرفت حذقــه ورأيت ، فوق الأفق ، أُفُقَـهْ

علمتني ممـــا كتبـــت بحكمـــة مـــا لست أفْقَـهْ

ومضيـــت بي متـمهـــلاً بين الدروب المستـدقـــه

هـذا فؤادي ســـار نحوك مـولعـاً ، ليبـل شوقـــه

ليعـــانق القلـــب الـــذي تـدري مـودتـه وصدقـــه

يـــا سيـدي (عبد الحليم) وأنـت للإيمـــان دفقـــه

أنـــا من بني (الحـــلاج) درويش !! وكل مناي خِرْقَةْ

ورضـــاً مـــن الرحمن أعبره على درب المشقـــه

(حلاج) مـــائدة الخلـود بأرضنـــا .. من ذاق لعقـه

سالت عطور الله في دمـــه إذا مَـزّقـتَ عِرقَـــه

يـــا نِعْمَ أوسمة تســـير إلى الصـــدور المستحقـــه

المجموعة الثانية

١ - قصيدة الإسراء والمعراج

٢ - قصيدة ابني آدم (حكاية كبش)

٣ - قصيدة (الغراب المعلم)

٤ - قصيدة سيدنا شيث

٥ - قصيدة سيدنا إدريس

٦ - قصيدة سيدنا نوح (الأب الحزين)

٧ - قصيدة سيدنا نوح (الرحلة البحرية)

٨ - قصيدة سيدنا صالح

٩ - قصيدة سيدنا إسماعيل

١٠- قصيدة سيدنا يوسف

١١- قصيدة سيدنا يونس

١٢- قصيدة الحسن والحسين (عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين)

١٣- قصيدة سيدنا بلال (رضي الله عنه)

الشعر ديوان العرب -لا نقاش في ذلك- وصدق سيدنا عمر بن الخطاب في هذا القول الذي لن ينفيه ادعاء عشاق التجديد أو التغريب أو التقليد ولا يعلو فوق الشعر إلا القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولكن أي أنواع الشعر ؟؟ هنا مربط الفرس ..

والشعراء هم أكثر الناس اقتناعاً بذلك .. ودائماً يتحركون في المجتمع بناءً على هذا المفهوم للشعر .. ولقد كان الإمام ابن مالك رحمه الله فطناً لهذه الحقيقة .. فأفاد وأجاد عندما نظم قواعد النحو والصرف في قصيدته الرائعة (ألفية ابن مالك) .. فيسرها للحفظ وحفظها من الضياع ..

ولقد كان نفس المفهوم سائداً من قبله ومن بعده لدى الشعراء .. وكلما أراد أحد الشعراء أن يخلد حدثاً ما أو شخصية من الشخصيات أو معركة أو قصة حب .. نظموا في ذلك القصائد التي تبقى ما بقيت اللغة والتذوق ..

والقرآن الكريم .. خلد لنا من الشخصيات والرموز والأحداث ما قدر الله له الذكر في كتابه ومحكم تنزيله .. ولكن هل كل الناس يفزعون إلى القرآن ويستقون منه العلوم الإلهية .. أم أن هناك فئات من الناس ينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ (الفرقان : ٣٠) .. وهؤلاء المنصرفون عن الذكر الحكيم كيف نصل إليهم بالعبر والمواعظ البليغة الواضحة في سير الأولين .. ربما اتعظوا بذلك ...

كما أن انصراف بعض الناس ربما يكون لعدم انتمائهم لدين الإسلام .. أو لطفولة .. إذن ما المانع أن يتصدر الشعراء المسلمين لصياغة بعض الدروس المستفادة أو الحكم المأخوذة من حياة السلف الصالح .. وتقديمها إلى الناس من خلال الأوزان والتفعيلات التي تتسلل إلى النفوس لما فيها من أثر كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة" .

ولقد أحسن شـاعرنا / إبراهيـم شـعراوى .. أن دخـل إلى هـذا الميدان بما لديه من فصاحة وتمكن صياغة وأدوات بلاغة وخلط كـل هذا مع خلفيته الثقافية الدينية وصبغ كل ذلك مع نوبيته وقرويته .. وصوفيته .. ووظـف هـذا المزيـج المتجـانس لمـا فيـه فـائدة لمجتمعـه وقرائه .

وكتب لنا بأسلوبه الشعري المتميز مجموعة من القصص حسـب المنظور الإسلامي لها .. وقد رأيت عرض هذه القصائد بدون تعليق لأنها قصص معروفة كأحداث .. لكثير منا .. والجديد هـو النظـرة الصوفية لهذه القصص ..

وعند ترتيب القصائد في هذا الكتاب راعيت الترتيب الزمني لها إلا أنني بدأت بقصيدة الإسراء والمعراج لدلالتها التي تتخطى كـل معاني الزمان والمكان حتى أصبح الحدث أعمـق مـن كـل وحـدات الزمن .. وأكبر من مفاهيم المكان في منظور البشر .

وحدير بالذكر أن هـذه القصـص أو القصـائد أغلبهـا بأسـلوب يتناسـب مـع الناشئة الذيـن هـم أولى النـاس بالتوجيـه .. رغـم أن أستاذية شاعرنا جعلتها في دائرة كل الأفهام ..

كما أعدت نشر قصيدتين من ديوانه (أبطال الكلمة) لاستكمال المضمون وهما قصيدتا (إدريس) عليه السلام و (بـلال) رضـي اللـه عنه.

ليلة الإسراء والمعراج

لَيلَةُ الإســـرَاءِ ، فِيهَـــا عِطْــرُ أنــوارِ التَجَــلّي
يَسكبُ الوَجدُ بها الدّفءَ بقلـــبِ المستَظِـــلِّ
وبُـــرَاقٌ يَقطـعُ الأُفـقَ لأجـــوَازِ السَّـــماءِ
آدَمٌ رَحَّـــبَ بالهـــادِي خِتَـــامِ الأُنبـــياءِ

* * *

وهنــا "يحيي" و "عيسى" في السَّـــماءِ الثّـــانِيه
أبصـــرا في المصطـــفى ذَوْبَ القُلوبِ الحَـــانِيه
فإذا الأدمُعُ قد سَـــالتْ على صَـــدرِ "ابنِ مَرْيَمْ"
وهو يدعُو : أنتَ يَـارَبِ بمـــا قَـدْ قُلْـتُ أعلَـــمْ
أنَا – لولا الله – لَمْ أشفِ مَـــرِيضـــاً يَتَـألَّـــمْ
لا ، ولا الأخـــرسُ غَنى لا ، ولا المـيْتُ تَكـلَّـمْ
والعـــدا قد حـــاولوا قَتْلِيَ ، والرحمنُ سَـــلَّـمْ
لا أرى إلاّكَ رَبّـــــاً هـذِهِ قـولـــةُ حَـــقٍّ
وأنـــا عَبْدٌ فـقـــيرٌ ومـــن الطينـــة خـــلقي

جـاءَ "إبراهيم" قد هَـــــلّـَلَ للهَـادِي ابتِسـامـاً

فِي عِنَـاقٍ بينمَا الحُـبُّ تَـنَـامَى ، وتَسَـامَى

وهو عند الركنِ يَدعُــو بعدَ أنْ صلَّى وصَامَـا

قائـلاً : لولاكَ يَا اللّهُ مـا صِرتُ إمَـامـاً

لا ، ولا كنـتُ خليـلاً لا ، ولا الملكُ استقامَـا

وجعلتَ النارَ لي يَا رَبُّ بَـرداً وسَـلامَـا

* * *

وهنـا "داود" يرجـو توبـة الله الغفـور

وهو في موج من المسك بـه المـاس زهـور

قال : قد أُعطيتُ مُلكاً معَ أنغـام الزَبـور

والحديد الصلب قد لان كأسـلاك الحريـر

سبح الصخـر معي ، والطير غنى في حبـور

أنـت يـا رب سخيٌّ وأنـا العبدُ الشكـور

* * *

و"سليمان" أتى للساحةِ الكـبرى ، وقـالا :

رَبِّ يَا مَنْ زَادَ قُدْسَـاً وَجَمَـالا ، وَجَـلالا

باسمكَ الجنُّ أطـاعُوني   فزلـزلـتُ الجبـــــالا
صار عندي منطق الطير   الذي فــاق الخيـــالا
وحديثُ النّمْـل إذْ رَدَّدَ   في الليـــلِ مَقَـــالا

* * *

ثم هذا "يوسف الصّدِّيقُ"   كـــالبـــدرِ تَـــلالا
غيرَ أنَّ المصطفى المختارُ   قَـــدْ فَـــاقَ جَمَالا

* * *

وهنا "إدريس" بالمختَـــارِ   يَـدعـــو ويُـرحِّـــب
وهنا "هارون" كَمْ قَاسى   وعَـــانى .. وتَعذَّبْ
وهو في ظلّكِ قد طُهِّــرَ   مِـــنْ كُلِّ عَنَـــاءْ
لائـــذٌ بِـالعَـــرشِ   مـا بين جمـوع الأنبيـاء

* * *

وهنَـــا أقبَـل "موسى"   راعشَ الخطـوِ حيـــاءا
فـلقــد جـــاء لقــومٍ   ملأوا الدنيـــا شقـــاءا
بِالربَـــا الفَـــاحشِ   إنْ صَادفَ بيعاً أو شِراءا
قال : قد أنقذتَني يا رَب   ، والمـــوت تـــراءى

لرضـــيع في مهـــاد   واهـــن يعـــبر مـــاءا
ثـــم ألـقى بعـــد هـــذا   الهول، في القصر احتفاءا
ثم أدعـــوهـــم إلى الله   فـــألقى السفهـــاءا

* * *

والعصا تفترسُ الحيَّـات   ذا أمــــرُ الإلـــه
أو تَشُـــقُّ البَحـــرَ   يمتدُّ طريقٌ للنجَـــاة
ثـم عـــاد القومُ للكُفرِ   جُحُـــوداً وعنـــادا
هكـــذا الكفـر إذا مـــا   لاحـت الفرصـة عـــادا

* * *

ورأى الرســـلُ سمـــاءَ   فَتَّحَتْ للنـــورِ بابـــا
ويـداً مُـــدت لطـــه   وهي تُهديـــه الشرابَـــا
وهنا قِيـل بصـــوتٍ   رائِـع مثـل النَّشِـــيد
مرحباً بالمصطفى الهَادِي   وأهـــلاً بالعـمِـــيدْ

* * *

كُنتَ يامختارُ إن عاهدتَ   أوفى النَّاسِ عَهـــدا
لن ترى المؤمِنَ نَـمَّـامـا   خَـئُونـــا مُستَبِـــدا
قُلـــتَ : لا ، للظُّلْـــمِ ،   لا للغَدرِ، لا لا للكَـــذِبْ

لا لسوء الظن والغيبة ،   لا ، لا للغضب
وزرعتَ العزمَ والعِزَّةَ   عَلَّمتَ الجهادا
ورحمت الطفلَ والشيخَ   وقد كنت الجوادا
وبإيمانِ أُلي العزم   تحمَّلت العذابا

* * *

لم تقل : يا رب ، فَرِّق   شملهم، ضَاعِف عِقابا
وابعثِ الداءَ إليهم   واجعلِ الأرضَ خَرابا
بل تمنَّيتَ لهم هَدياً   وَأحسنتَ الخِطَابَا
فتآخوا في صفاء   وقديم الحقد ذابا

* * *

هكذا لم يبق فوق الأرض   للكفر صنم
فهنيئاً – سيد الرسل   – على خير الأمم

* * *

يا رسول الله : من هديك   بددتَ الظلاما
فتقدم قد دعوناك   على الكل إماما
وهنا قال له جبريل   قم .. لا تتردد
وتقدم .. صل بالنَّاس   إماما .. يا محمد

حكاية كبش

[قصة الكبش بين هابيل وسيدنا إسماعيل]

هويّةٌ (١) أمامكم ولتأخذوا منها العبر
الاسم : هابيل نعم. وشغله : يرعى الغنم
ودينه : الإسلام. والزمان: في عمق القِدم
صفاته : الصفاءُ والوفاءُ مع شكر النعم
أملاكه : الأغنامُ فيها رزقُه ومأمَلُهْ
أحبُّها : كبشٌ سمينٌ كان دوماً يَحْمِلُهْ

***

هابيل يزداد احتمالا   والكبش يزداد اكتمالا
الكبش ما أثقله على الكتف   لكنه بالحب كم رق وخف
في ساحة القربان لم يبخل به   قلبه ، وفي رضا ، لربه
هابيل قد ضحى بأغلى كبش   وكبشه يلهو بظل العرش

---

(١) الهوية هي بطاقة تحقيق الشخصية ، وبها بيانات مختصرة عن صفات حاملها.

من بعد ما قدمه قربانـــا وساقه ليرضى الرحمانـــا
حتى إذا مـا مرت الأزمـان واشتعلت في الساحة النـيران
هـا هـو إبراهـيم يَبْسَمْ وكـلُّ شيء قـد تَفَحَّـمْ
النـــار منـه لا تمس بُرْدَا صـارت سلاما حوله وبَرْدا
مـر زمـان بعده زمـان وها هي المحنة يا إنســـان
وإن إبراهيم يـا صحبى أبُ مثلي ومثل كل حي ينجـبُ
أبناؤنا يحيون في عمق الكبدْ وهل يطيق والد قتل الولـدْ ؟

* * *

هذا الأب الطيب – إبراهيم – في كفيه حبل
وبِجَيبـه سكينه .. ووراءه قد سـار طفل
أبتى لـمـاذا قـد خرجنـا الآنـا ؟
قـال الأبُ : لـنـقـدم القربـانـا

* * *

ويســأل الصبي في تعجـب لكنما القربـان أين يـا أبي؟
فتسرع الأدمـع من عيني نـبي يصغي إلى قول الفتى المعـذب
قال : بني ، إنما القربـان أنـت وإنه أمر الســماء إن أطعـت

قـال الصبي إنني سـأصـبر فملكه الأنفس وهو الأكـبر
أشدد رباطي يا أبي لا أضطرب ابعد ثيابك عن دمي لا يختضب

***

إن عدت ، لا تقصص على أمي الخبر
ففي الفـراديس لـقـاء منتظـر
هـابيـل هذا كبشك القربان عـاد
كي تمـلأ الأفراحُ أرجـاءَ البـلاد
وقـدِ انتهى الخطـب الشـديدْ
واليـوم للأكـوان عـيدْ
قم يـا بني ، قد افْتُـديتَ بكبـش
من جنـة الرحمن رب العـرش
جـبريل قـدم للوجـود هديـه
لتظـل رمـزَ البـذل والتضحيَّـة
هـذا صبي قـد أطـاع أبـاه
والله رب الكـون قـد نجـاه

الغُرابُ المُعَلِّمُ

[قصة هابيل وقابيل]

أتيتُكـم بقصَّــةٍ فِيهَــا عِبَرْ مِنْ عَهدِ جَدِّي آدم جَدِّ البشرْ
وأُمنَــا حــواءُ زادتْ نَســلاً في كلِّ بطنٍ طِفْــلةً وطِفــلا
ومثلمــا قد جــاءَ في الأنبـاءِ قَــابيلُ كـانَ أوَّل الأبنــــاءِ
والأختُ إقليما لقد جاءا معــا جمــالها ، سبحان ربِّي أبدعــا
هابيــل بعدُ أبصر الوجــودا توءمُــهُ كانَ اسمُهــا لَبُــودا
ولمْ يَكنْ جَمَالُهَــا عَظِيمَــا لكنَّهــا ما حسدتْ إقليمَــا

* * *

آدمُ كانَ صَادِقــاً تَقِيــاً ووالــداً وهادِيــا نَبِيَّــــا
نَــادى على أبنــائِه وقالا لا تُفسدوا لا تقربوا الضــلالا
وقـال : إنَّ الله قد أوصَـانِي لا يعقدُ الزَّواجَ توءمَـــانِ
قابيــلُ لا زواجَ من إقليمَــا فلا تكن معانــداً ظلومَــــا
لكنَّ قَــابيــلَ مَضى يَصــيحُ كأنَّهُ وحشُ الفَـــلا الجريحُ

* * *

وقـــال آدم بصـــوتٍ واهِ قابيـل هل تقبل حكمَ الله ؟!
إذن فقُمْ أنتَ وهابيـل غَـدا وقدِّمَا القُربَان حتى تشهـدَا
من تقبل السـماءُ مَا قدَّمـه فالحقُّ أن تكونَ إقليمَـا لَـهُ
وقال قابيـل وكيف أعلـمُ أنَّ السَّـمَا تقبل ما أقـدِّم
فقال آدم سيحدثُ العجبْ رمز القبولِ صعقةٌ من اللهبْ

* * *

وفي غدٍ قدم قابيـلُ الثمـارْ من حقله ومل طول الانتظارْ
ومر ليل بعده جاء النهَـارْ لكنَّما القُربَان لم تمسسه نارْ

* * *

وكان هابيـلُ الأمينُ راعيـا مُهتدياً ، مصلّيـاً ، وهادِيـا
كانَ يطـيعُ دائمـاً أبَـاهُ منفِّـذاً مَـا يَـفـرضُ الإلـهُ
هابيلٌ اختارَ مِنَ القُطعَـانِ كبشاً يليق بروعةِ القُربَـانِ
وأبصر الأحيـاء سهمـا من لهب
يهبط من أفق السماء .. واعجب!!
وسـارَ قابيـل إلى أخيـه والنَّـار ملء قلبـهِ تُعميـه

وقال : إقليما ستبقى لي أنَا | وحدى، وويل لك إن تبق هنـا

عد للبودا إنها جاءت معك | أم أنت لن ترجع حتى أقتلك؟!

ومَات هابيــل ولمْ يمدُد يـدا | أولُ من فوق التراب استشهدا

وحوله الوحوشُ والســباعُ | ينتظــرونَ .. كُلهــمْ جيــاعُ

لذاك قابيلُ يظلُّ سَــاهـرا | مُؤرقــا مُمَزَّقــاً مُفكّــرا

* * *

قابيــل في بكائـــه يئنُّ | ولم يكن يعــرف كيف الدفن

رأى غُراباً في التراب يحفـر | فقــال هذي فكرةٌ لا تخطــرُ

عجبت كيف خانني التفكير | وجــاء هذا الطـائرُ الصغــيرُ

إنَّ الفتى المغرور يا أحبـابي | تعلــم الدرس من الغــراب !

سيدنا شيث عليه السلام

آدم من بعـد أن ودع "هـــابيـــل" الــوفي

عـاش دهرا موحشا كالقــبر ، لم يبسم لشي

قائـــلا : يـــا رب هذا ولدي ، هــــذا التقي

كنت أرجـــو أن أراه حامــــلا عبء النبي

كنت قد أعددته شمســـا ، على الليل العتي

وربيعـــا يمــــلأ الأكـــوان بالنـــور الشـــذي

وهـو قـد ولى .. وأبقى لي ســــرابا في يـدي

"آدم اسمع" قال رب الكـون في صوت جلي

"إن هـذا الكـون كوني : وأنــا الله القــوي

أنــا أدرى منـــك بالخير ، فمن صنـــع يــدي

كل خـــير ، فتـــأدب .. واترك الأمــــر إلي

***

وبكى آدم ، هـز العـرش من فرط بكائـه

وإذا بالخـالق الرحـمن من فـوق سمـائه

يرسـل الأمـن إليـه .. وعـزاء في بلائـه

بوليـد ذاب عطـرا في سنـاه وروائـه

هو "شيث" ، هبـة الله ، وفيض من ضيائـه

* * *

وهنـا عـادت إلى وجهك يـا آدم بسمـه

سـوف لا تمـلأ هذا الكون من بعدك ظلمـه

أنـت أنجبـت نبيـا لليـالي المدلهـمـه

مرشـدا ينصحنـا .. يخرجنـا من كل أزمه

* * *

إنـه مخترع السـاعة في قـول الرواةِ !

هكـذا بالعلـم يهدي لمواقيت الصـلاة

صحف خمسون جاءته على درب الهداةِ

فمضى ينشر دين الله في قفر الفلاةِ

فإذا الخضرة والأنعام في كل الجهاتِ

لم يمت هابيل .. في شيث امتداد للحياةِ

* * *

ومضى قابيل مذعورا إلى أرض عدن

مع إقليما ، وإقليما له شر سكن

يشرب الخمر ، ويقضي ليله عند وثن

والغاً في الفسق ، مثل الدود يمضي للعفن

* * *

هكذا ينهزم البغي وإن صال وأرعد

ويموت الليل مهما اشتد وقعا وتمدد

وهو دوما يتلاشى .. وهو حتما يتبدد

قلعة القهــر ستنــــدك ، وربى قـــد توعـــــد

مُرْسِــلُ الطيرَ على الأفيـــال حين البغي هدد

أغرق العـــالم بالطوفـــان ، والأفــق تلبـــد

وأتى للكـــون "نوح" حينما الطغيـــان أفسـد

إنــــه مـــن نســـل شيث ، عَبْدَ اللهَ، وَوَحَّــدْ

هكـــذا للخـــير والشـــر حكايـــا تتجـدد

غـــير أن الشـر ، مهما طال عمرا ، ليس يخلد

سيدنا إدريس

[عليه السلام]

هذه القصة من أجمـــل مـــا في الحي يـــروى

عن نبي من بني النوبة فــــاق الخـلق تقـــوى

كان إدريس أبيـــاً .. وذكيـــاً عبقريـــــا

كان نوبيـــاً ، تقي الروح ، صديقـــاً نبيـــا

***

مثلـه نحن ، إذا مـا ذكـر الصدق ذكرنـــا

هكذا نحن تعلمنـــا ، وعلمنـــا ، وسرنـــا

وبدرب الحق قاسينـــا ، تعذبنـــا ، صبرنـــا

***

يـــا نبيـــاً لبني قـــابيـــل في صـــبر دؤوب

لـــم أزل أبصـــرهم كالـــداء في كل الدروب

بئس أبنـــاء الخنـــا ، من كل شمطاء لعوب

***

حرمتنـــا من ضيـــاء الشمس موجات الجراد
لم يعــد إلا نعــيق البــوم في وادي الرمـــاد
وأنـــا ، أين ســـلاحي؟ غير دفي والأصـــابع
والشجي من (دس ليمونا) حزين الشدو دامـع
وأنـــا مثـلك يا إدريس ، عنــدي كلمـــاتي
وبهـــا – يا سيدي – أغلى تـــجاريب حياتي

***

فـــإذا ما دمدمت حولى ريـــاح المعتدين
تحمـــل النتن الذي ينزف بالحقـــد الدفـين
وعصابـــات البغـــاة الهـــازلين الكاذبين
مع من تـــاجر بالزيف ، وفي القـــدس أثـم
مـخفيـــاً أنيـــابه خلف ضـــلالات القـيم
مع قطعـــان ذئـــاب بين أســـراب رخم

***

كنت يا إدريس في الرمضـــاء مـــاء وظـــلالا

تملأ الدنيـــا حنانـــا ، وأمانا ، وجـــمالا

يا نبياً عالـمـــاً .. أبدع فناً واختراعـــــا

أنت كم ألهمت، كم أهديت، أشبعت الجياعا

وأفدت الناس حتى ملأوا الأرض ازدهـــارا

وسحقت الليل إذ أخرجت للدنيـــا نهـــارا

***

أنت كـــم علمتهـــم فن الحســـــاب

مثلمـــا علمتهـــم صنـــع الـثـيـــاب

يا نبيـــا في دروب المجد قد أفنى الشبـــاب

ومضى في ساحة الخير وبين الكتب شـــاب

وهو لما عرف الأســـرار من علم الفـــلك

قال : حمداً لك يا خـــالقنـــا، والـملك لك

رب فـامنحني دوام العيش حتى أعبـــدك"

فـــإذا صـــوت إلاهي ينـــادي : "يـــا نبي

عـــانق الخلد وعش في عـالم السعد العـــلي

في الفراديس ، هنيئـــاً .. بالنعـيم الأبدي"[1]

(١) جاء في كتاب قصص الأنبياء (العرائس) لأبي إسحق النيسابوري : أن ملك المـوت اشـتاق للقـاء سيدنا إدريس عليه السلام فأذن الله له بلقائه ، وقال إدريس لملك الموت : اقبض روحي فـأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه. ثم ردها الله عليه بعد ساعة ... ثم طلب إدريس من ملك الموت أن يرفعه إلى السماء لينظر إليها وإلى الجنة ، فأذن له في ذلك ، فلما قرب من النار قال للملـك : اسأل مالكاً يفتح لي أبواب النار حتى أراها ففعل ذلك . ثم طلب أن يرى الجنة ففتح له أبوابهـا فدخلها .. فقال له ملك الموت : أخـرج لتعـود إلى مقـرك فتعلـق إدريـس بشـجرة ، وقـال : لا أخرج منها ، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما .. فقال له إدريس :

* قال الله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته
* وقال تعالى : (وإن منكم إلا واردوها) وقد وردتها
* وقال تعالى : (وما منها بمخرجين) فلست أخرج .

فقال الله تعالى لملك الموت : (دعه ، فإنه بإذني دخـل الجنـة . وبأمري لا يخـرج) ... فهـو حـي هناك ، فتارة يعبد الله في السماء الرابعة ، وتارة يتنعم في الجنة ... والله أعلم.

الأب الحزين

[سيدنا نوح عليه السلام]

كم ظل ينادي الأقوامـــــا　　　يدعو أن يدَعوا الأصنامـــا

سخروا منه ، آذوهُ ، مضـوا　　　في كفرهم ، وبغوا وعتـوْا

فمضى يدعو الله بإيمـــــان　　　أن يهلك عُبَّــاد الأوثــان

"لن يلـــدوا إلا كفـــارا　　　فأذقهم – يا رب – دمارا"

ها هو يدعو .. وسفينتـــه　　　تجري ، تعلو فوق الزَّبـــدِ

وينـــادي والدمـــع ســـخين

(معنـــا، قم واركب، يـا ولـدي)

فـيعـانـده الابن .. ويَفْـنَى　　　من يكفـر بالله الصمـــد

ويموت الشر بعـــالـمنـــا　　　ويعيش الخـــير إلى الأبـد

الرحلة البحرية

[قصة سيدنا نوح عليه السلام]

بنت راكيل ، دعت في الليل رب العالمينــا

قالت : اللهم ، هذا موطني جُنَّ جُنُونَــــا

أفسدَ الإنسانُ في الأرضِ ولمْ يتركْ مجونــا

وهنــا أحفــادُ قابيــلَ بغــاةٌ يفسدونــا

***

رب ، فامنحني غلاما طاهر القلب تقيــا

يملأ الأكوان نوراً ، يمحقُ الليل العتيـــا

ويبيد الظلم والظلمــة، واجعــله نبيـــا

هــاديا ينشر دين الله في الأكوان حيــا

***

أنا – يا رب – وزوجي قلة في أرضنـــا

لم يعد من نسل هابيــل ســـوانا ها هنا

لم تــزل آيــات شيث، نـور هدى بيننـا
نحن أنصــارك يــا رب فكن عونا لنـــا
***

واستجاب الله : هذا نوح في طهر المـلاك
جاء بالحكمة والدين ليهدي من هنــــاك

لينادي : رب من غيرك أدعو؟ من سواك؟!
إن قومي نبذوا الحق وسـاروا للهـــــلاك
***

سخروا منه، وكم ذاق الأذى من كل صنـف
كم أسالوا من دماه، وهو يدعو دون خوف

كل جبــار عنيــد أو جهــول مستخف
أو مضـل يدفع النّـاس إلى لهوٍ وزيفِ

***

مرت الأحقـــاب لم يؤمن بما قال أحـــد

وتبارى النّاس للإثم سوى بعض الولـد

ونبي الله نـوح قـد تـوارى في كمـــد

شـــاكياً محنتــه النكـراء لله الصمـــد

***

قال ربُّ الكون جبارُ السماوات القوي :

سوف أُفني الأرض لن يَبْقَى على التربة حيّ

سأُغَطي الأرض بالإعصـار والسـيل العتي

ثم بَعثٌ ، وحِســابٌ ، وعــذابٌ أبـدي

***

سهرت زوجـة نوح وابنه ســام وحــام

والفتى يافث والزوجــات والكل نيــام

وأســـود ونعـــاج .. وصقــور وحمـامْ

نسي الكل العداوات ، وعاشوا في ســلامْ

واستبد الموج، أرغى مزبدا، فالكون يمْ
وسفين الخير، يمضي آمنا بين الظُّلَمْ

وابن نوح أنكر الحق، وبالصخر اعتصمْ
يَا بُنيَّ اركَبْ، فَلا عَاصِمَ إلاَّ مَنْ رُحمْ

***

قال نوح -دامع العينين- يدعو في كمد:
"رب، هذا ولدي، هذا حشاشات الكبد"

فأجاب الله: "بل هذا عدو لا ولد
إنه أفسد في الأرض ضلالا واستبد".

***

وتراخى السيل، فالأمواج تمضي في سكينه
فإذا البغي صريعٌ ، والضالات طعينه

وصراخُ الكفر، يا كم ضج في قلب المدينه
كل شيءٍ مات إلا نبضة فوق السفينه

وانتهى الطوفان بسم الله، أين الشط أينـــا؟

مَنْ تُرَى نُرسِلُ كي يَرجِعَ بالبشرى إلينا؟

قال نوح: ياغراب البين، كن للجمع عينا

وانطلِقْ في سرعة الريح، ولا تمش الهوينـا

***

ومضى ذاك الغراب الأسود الريش يفتش

ورأى القمة جفت فوقها الأعواد والقش

ورأى أجداث من ماتوا فأغرتـــه الجيفْ

ناسياً طوفـــــان نوح .. وسفيناً يرتجفْ

***

وهنا أطلق نوح -لسنـــا الأفــق- حمامـه

فمضت تسعى، وعادت بعد حين بالسلامه

وبطين الأرض والنبتِ، إلى نوح، علامــه

هكذا قد حقق الرحمن للكون نظـــــامه

إنه لن ينصر الشر ولن تبقى الدمـــــامه

سيظل الدين أعلى من فلول الكفر قامــه

وسيبقى الخير في الأرض إلى يوم القيامــه

وسيبقى الخير في الأرض إلى يوم القيامــه

حكايـة ناقـة

[من قصة سيدنا صالح عليه السلام]

كانت الدنيـا لعـاد .. ثم ولت .. فتأمـل
ثم صـارت لثمود بعدهم .. والحظ أقبـل
وثمود، في ظـلال الخير والجنـات، تنعم
بين زهر وثمـار ، فلمـاذا تتألـم ؟!
ولمـاذا البؤس يبدو ؟ ولمـاذا الحزن خيـم ؟
إنهم في محنـة .. كل بنـاء يتهـدم
ومضى الشيطـان يدعوهم بإيقـاع منغـم

***

يا ثمود انطلقـوا، وابنوا بيوتـا في الجبـال
انحتوها في صميم الصخر في عزم الرجـال
واملئوهـا بكنـوز وعقـود من لآلي
وأعيـدوا عهـد قابيـل بأيـام خـوال

ارفعوا الرايـــات للفتنــة في كل مجـــال
واعصـــروا الكـرم نبيـذا فهو أنس للّيـــالي
واجعلـوا الحكمـة والرأي لربـات الحجـــال
ولغلمـــانكم الـمرد، فهم جنـــدي وآلي
واهجروا رأي المسنين ، وعيشوا في ضـــلال
إنني الشيطان كم جربت .. فاصغوا لـمقـالي

***

بعث الله إليهم صالحـا يهـــدي السبيـــلا
لا يرى منهم نصيرا للهـــدى .. إلا قليـــلا
"جندع" كان زعيم الكفر في ذاك الزمـــان
قال : يا صـالح لا نصغي لرأي أو بيـــان
إنما يقنعنـــا الشيء الذي يبدو جليــــا
هـــات أمرا معجزا حتى نسميك نبيــــا

***

هذه الصخرة من خلفك في حجم الجبـــل
أدع .. كي تخرج من أحشائها أنثى جمـــل

نـــاقة نزهو بها .. أعظم من كل الإبـــــل

عندهـــا نؤمن بالرب الذي تدعو إليـــــه

ويقول الناس : قد جاء الهدى صلوا عليــــه

***

هكذا قال .. وقد جـمَّع في الساح رفَــاقَـــة

فدعا صالح رب الكون أن يرسل نـــاقـــه

قال ربُّ الكونِ: "كُوني"، فإذا النـــاقة ترتع

وإذا الصخر تهـاوى وهنـــا آمن "جندع"

***

كثر الإيمـان .. لكن لم تزل للكفر دولـــه

وعيون مغمضـــات .. وعقـــول مستذلـه

صالح يهتف في الجمع : لكم يـــا قوم يوم

تشربون الماء، تسقون .. ويوم فيه صــــوم

تشرب النـــاقة لاتبقي مياهـا في المكــــان

ثم تمضي في أمـــان ..

***

انهضي يا نـــاقة تحمل أسرار السمـــــاء
واشـــربي .. لا تتركي قطرة مـــــاء
وغدا يجتمع الناس على ضرعك ها هم يحلبون
ثم هم يدّخرون اللّبن الصـــافي بآلاف الأواني
فإذا كان غد ، فالمـــاء في كل مكـــان

***

وهنـــا النـــاقة في حجم الجبـــل
تزعج الأبقـــار .. في الخضـــرة تلعب
فإذا الأغنـــام والأبقـــار تهـــرب
تترك الخضرة في خوف ولا تدري طريقا للإياب
ثم تمضي للصحارى، للأفاعي .. للذئـــاب

***

وإذا نـــاقة صـــالح .. عطلت كل المصـــالح
وإذا نـــاقة صـــالح .. وهي درس للأمـــم
محنة تحتاج للإيمان، والإيمـــان يحتـــاج الهمم

***

وإذا الحقد اضطرم ..

فانظـــــروا مــــا فعــــلت "أم غنم" !!

ولها أعلى بنــــات الحي حسنا وجـمالا !!

وهي أغنى الناس أشجــــارا وأنعامــا ومالا

وهي قالت في اقتــــدار لفتى يدعى "قدار" :

يــــا قــــدار ..

من بنــاتي أي من شئت فخذ دون انتظـــار

وقدار قــال : مــــاذا تطـــــلبين ؟!!

فأجــــابت : أنــا لا أطـــــلب مـالا

أعقـــر النـــاقـــة إن شئت نــــوالا

ثم خـــــذ من شئت منهن حـــلالا

هكـــــذا نجــــزي الرجـــالا

***

وقدار قــــام يدعو النـــاس ســـــرا

ويثير الحقد في الأكبـــاد جـمـــــرا

ثم هاهم عقروهـــــا في احتفـــــال

نــاقة الله بقــايا من عظـــام بالتـــــلال

يــا لقـــوم يأكلــون المعجـــــزات!..

فـلـنـفـــر الآن من أرض الـبـغـــــــاة

***

ثم يمضي اليوم بعد اليوم والكفر عتي مشمخر

ثم تـــأتي غضبـــة الله، ففي الآذان وقـــر

وتهـــاوى البغي واندك .. فما يخلد كفـــر

سحق الله ثمـــودا .. وطوى الإثـــم ودمـــر

وتداعى كل ما حاك ، وما في الســـــر دبَّرْ

وتعـــالى الصوت في كل القرى: "الله أكبر"!

سيدنا إسماعيل

[عليه السلام]

وحكـــاية منذ الحقب   يــا كم تثير لنا العجـب
هـذا الصبي بطهــــره   هو فخرنـا ، جد العــرب
"أشدد ربــاطي يـا أبي   بالحبل كي لا اضطــرب
ابعـــد ثيـابي عن دمي   لنصونهـــا إذ ينسكــب

* * *

كي لا ترى أمي الدمــاء   فتعيش في بؤس الشقـــاء
أنا لا أريد لهــا البكــاء   وأنــا أودع للـفنــــاء

***

ولتشحـذ السكـــين   ولتســـرع فإن الموت مُرْ
ولتبتســم فرضــا إلهك   يــــا أبي أمــرٌ يســـر"

وتقدم الأب في جـــلالٍ كي ينفـــذ أمـــر ربـــهْ

واستســـلم الطفل الوفي وقلبـــه يعـــوي بِـجَنْـبِـهْ

***

وهنــــا تتابعت الرعود وولـــول الليـــل الحزين

وأطـــل جبريـــل وأقبـل يحمـل الكبـش السمـين

وهـــو الفـــداء يسوقـــه للنـــاس ، رب العـــالمين

يوم سيبقى خالد الذكرى على طـــول السنـــين

سيدنا يوسف

[عليه السلام]

إنّـه الصديق ذو الأخــلاق والخَلقِ الـمَلِيــح
ابن يعقــوب الصفي .. ابن اسحـق الفصيـح
ابن إبراهيم من صــارت له النــيران بــردا
بعد أن حطم أصنامــا ، وللكفــر تحــدى

***

إنّـه الصديق مــا أعجــب أفعالَ القـــدرْ
الكواكب في سجـــودٍ ، مع شمس وقمـــرْ
ثم في الجب رمــوه ، وهو في القــيد صَـبَـرْ

***

كان في السجن غلامـــان ، وكان القيد مُرًّا
"مجلب" الخباز من يمزج بالحنطـة صخـــرا
و "بيوصا" كان في الحانـات يسقي الناس خمرا

"مجلب" قدم في الحلم ، لطير الجو لحما
و "بيوصا" كان يسقي الملك الحاكم كرما
والفتى قد فسر الحلمين بالرأي المرجَّح
قال يا "مجلب" عفوا .. بعد حين سوف تذبح
و "بيوصا" سوف يعلو ، عند فرعون، وينجح
فإذا كل الذي قد قال ، بالحرف تحقق
إنّه في الوصف صديق ، وفي القول مصدَّق

***

قال فرعون : "لقد أزعجني حلم مخيف
سبع بقرات سمان حولها الجو اللطيف
ثم هبت عاصفات الريح بين الفلوات
سبع بقرات عجاف ذابلات ناحلات
قد مضت تبتلع السبع السمان المتخمات"!!
ورأى من سنبلات القمح سبعا يابسات
مزقت من ثمرات الحقل سبعا ناضرات
"أيها الكهان هذا الحلم ، هيا فسروا

ثم لا أجر لكم عندي إذا لم تقدروا"!
همهم الكهان ثم انتشر الصمت الحزين
حين قالوا ، بين دمع اليأس : "لسنا قادرين"
وهنا قال "بيوصا": "أنا يا مولاي أفدى
عرشك الغالي بعمري .. إن حل اللغز عندي"!
وهنا قال له فرعون : "هذا فوق ظني
هل ترى تفهم في الأحلام ؟ يا ساقي أجبني"!
قال : "بل ذاك الفتى في السجن ذو علم وفير
بالذي يبصره النائم من أمر خطير
وهو من فسر لي أني سآتي للملك
وزميلي ، مثلما قد قال في السجن ، هلك"
والفتى قد ترك السجن .. ويمشي في اتزان
نحو فرعون الذي قام إليه في حنان
جاعلاً مقعده مرتفعا فوق الجميع
فَلْيَطمئنْ قلب فرعون بتفسير بديع

***

الفتى قـــال: "انتبه عند السنين المخصبـــات
فسيأتي بعدهـــا أقسى السنين المجدبـــات
أكْثِرْ الزرع وضـــاعفه وجاهد للحيـــاةِ
ولتخزّن في حمـــاس، للسنين القـاحـلات"!
فــإذا الصديق قد صـــار لمـولاه وزيـــرا
بعد أن كان طريـــدا وسجينـــا وأســـيرا
ورأى فرعون أن الجوع يسري في البـــلاد
جفت الأرض، ومات الزرع، وارتاع العبـاد
كانت الفضة سِعْرَ القمح في أول عـــام
ومضى عام ونال الناسُ بالتِّبر الطعـــام
ولدى ثالث عـام .. قدّم الناسُ الحُليّـــا
ولدى رابع عـام .. قدّموا ما كان حيّـــا
وتبارَوْا في عطـاء المال في ساح الحســاب
كل ما في الدور من طـير وخيــل ودواب
وأتى خـــامس عام فإذا الدنيـا ظــلام
وهنا باعــوا له الدور ، وفازوا بالطعـــام

وأتى سادس عام بين جوع وألم
وهنا باعوا له الأبناء من أجل اللُّقَمْ
ولدى سابع عام ، ساد دنيانا العذاب
وهنا باعوا له الأنفس منهم والرقاب
في سبيل الخبز قد صاروا عبيداً وإماءا
ثم نادى فيهم الصديق : "عودوا طلقاءا
هذه أموالكم عادت إليكم والديار
ودواب الحقل والخيل وألوان الثمار"!!
وهنا قالوا له : "يا أيها الصديق، قل
ما الذي تطلب منا ؟ أنت للخير تدل"
قال : "يا قوم افعلوا الخيرات سراً وجهارا
واعبدوا الله بصدق ، واجعلوا الدين منارا"



سيدنا يونس

[عليه السلام]

من ألوف السنين ، جـــاء نبي   يدفع الناس نحو خير المعـــاني

إنه "يونس" المعلـــم يهـــــدي   وينـــادي الجمـــوع للإيـــمـــان

وتمر السنون عشرا فعشـــــرا   بعد عشر، والتابعون اثنـان !!

كم نبي له ألوف من الأتـــــ   ـباع يشكو من قلة الأعـــوان

وهنا يونس ينادي .. فلا يســـ   ـمع إلا معلـــم الصبيـــــان

ذا "تنوخا" الحكيم ، ديدنـــــه   الزهد فمرحى للعابد المتفاني

ثم من يا نبي؟ قال "هنا الثاني   يسوق الأغنـــام في الوديان"

قيل: ما الاسم قال: "روبيل قد   ودع عهد الظلام والأوثـان"

وبكى يونس من القهر والذلـة   والقلب شعـــلة النـــيران

وأتى العـــابدان نحو نبي اللـــه   ضما عـــذابه في حنــــان

قال روبيــل : " يا نبي أما يكـ   ـفيك أنا نسعى بغير تـوان ؟

لا تسلني عن النتيجـــة هـــذا　　كل جهدي والأمر للديـــان"

و "نتوجا" يقـول: بعد الدياجي　　سوف يأتي الصباح للأكـوان

ستضيء الشمـوس في كل درب　　وتغني الطيور بالأفنـــــــان

وتنادي حتى العناكب والأحجـ　　ـار تدعو للخـــالق الرحمن

والنبي الحزين يبكي وقد ســار　　بــلا نصرة من الأعـــــوان

وينادي: يا رب حولي ظـــلام　　وقلوب كالصخرة الصمـــاء

في الثلاثين كنت أنضر أهل الأ　　رض واليوم صرت كالأشـلاء

"نينوى" لعنة السماء عليهـــا　　ليس تُصغي يوما إلى الأنبيـــاء

همُّها الإثم والرذيلة والكفـــ　　ـر ، وجعل الأحكام للأهـواء

وأنا ههنا أنادي فلا يســـــ　　ـمع إلا شراذم الضعفـــــاء

رب إني يئست، أرسل عليهم　　سُدُفا من جحافل الظلمـــاء

وهلاكا لم يسمع الناس عنـه　　ولهيبا من عـــاصف الأنـواء

رب يتم أطفالهم ، ولتمـزق ... يا إلهي هيـــاكل الآبـــاء

واجعل الداء يسحق اللحم للعـــظم فتسري الديدان في الأمعـــاء

أنت جبار هذه الأرض يـــا ... رب وأنت المبيد للأعــــداء

وهنـــا قيـل يــا نبي ترفــق ... إنما الرفق سنـة الأنبيـــــاء

لا تلين القلوب للمرعب الـــ ... ـقاسي فكن لينا مع الأحيـاء

كن لهم رحمة على الأرض مثل ... المـــاء يطفي جهنم الرمضـاء

كن لهم بسمة على كل ثغـر ... كن لهم نسمة وموج ضيـــاء

فالنبي العظـيم أحنى من الأم ... على من بكى من الأبنــــاء

مهلـــةً أربعين يوما ، فإن لم ... يُجد نصحٌ فالويل للأشقيـــاء

* * *

ويعود النبي يدعـــو ثلاثين ... وسبعـــاً من الليــالي وينذر

قائلاً :سوف يهلك الله هـذي ... الأرض والويـل للغبي المنكـر

اسمعوني ، لم تبق إلا ثـلاث من لياليكمو مع الإثم والشـر

ثم لما لم تبق إلا سويعـــات على الموعـد الذي قد تقــرر

قال : إني سأترك الأرض يـا قـــــوم فذوقوا العذاب والله أكبر

ورأى الناس للعذاب علامـــ ـــات فهذي ألوانهم تتغـــير

ثم هذي الغيوم تُرغِي وتعوي ثم هذي الرياح عادت تصفـر

* * *

فينــادي : يا رب أين عـذاب قد توقعتــه لمن كذبـوني؟!

كفروا بي وأنكروا مجدك العالى فمماذا يكــون لو قتـلوني؟!

إنني راحــــل إلى أي أرض هــا أنا صــاعد لهذا السفين

قال ملاحها: سنمضي إلى السـ ـند ومنها نمضي لأرض الصين

* * *

وإذا "نينوى" تضج وتبــكي   في خشوع لله في صدق توبـه

وإذا الحرب والعداء ســلام   وإذا البغض يستحـيل محبـه

يونس أين ؟ كي يرى كيف صرنـا؟ .. ليتـه بيننا ليُسْـعِدَ قلبه

* * *

والنبي الغضبان قد ترك القوم   وولى إلى مكـــان بعـيد

قائلاً : سوف يبصرون هلاكـا   ودمـــاراً ويعرفون وعيدي

فإذا الله فوق أعلى ســمــاء يبـصـر الشعب وهو يدعو ويندم

فيسوق الغفران من كل صــــوب وإذا الأفق بالسنا يتبسم



سيدنا بن عباس

[عن الحسن والحسين]

رضي الله عنهم أجمعين

يا ابن عباس : هل ذكرت حديثا

قلته – قبل أمس – عن شفعائي؟

حينما كنت جالسا في رحـــاب

المصطفى ، منصتا لصوت السماء

ورأيتَ الدموع والهمّ والنّـــوْحَ

على وجـــهِ فـــاطمِ الزهـــــراءِ

حين قالت في رقة لأبيهــــــــا

وهي ترنو إليه في استحيـــــاء :..

أبتى جاوز الحسينــــــان داري

الصغيران بعشرا لي هنــــــائي

"فتشوا يا صحاب" قال رســـول
الله ، هل كالنبي في الرحمــاء ؟!

ثم عاد الصحاب، لم يجدوا شيئـا
وحول العيون ذل البكـــــــاء

فــإذا بالنبي يهتف : "يــا رب"
فـترتج أنــجم للدعــــــــاء

رب فلتحم لي صغيريَّ - يا رباه-
من عـــاصف ومن ظلمـــــاء

فإذا بالبشير جبريل -روح القدس-
يــأتي يســوق صــوت السماء :

"نحن أدرى بأن يوما سيــــأتي
تـمْلأُ الأرض فيه بالرقعـــــــاء

ويذوب الحياء في الناس ، حتى
في بيوت النساك والعلـمـــــاء

وتصير القلوب قفـراً هــــواءً
وتصير الأحكـــام للأهـــــواء

وتصير الطريق خزيـا وعـــاراً
ويقيمـــون دولـــة للعــــراء

ويصير الكتاب لهوا ويحيـــا
-من أحبوا الكتاب- كالغربـاء

ولهذا نرعى النبـــوة والبيـــت
ونحمي منـــابع الأضــــواء

الصغيران في رياض بني النجّار
بيت الحــــدائق الغنــــاء

بينمـا ترقـص الملائك نشـوى

وهي تحميهمـا من الأعـداء

إن تكن قد نسيت يا أيها الـراوي حديثاً من الزمان النائي

فأنـا لم أزل أراه بقـلبي

قبس النـور شقّ لي ظلمـائي

كل شيء سمعته – عن رسول الله

أو أهـله– هنـا في دمـائي

سيدنا بلال

قد جئت أهنيء بالأفراح

بالفتح ، وفيه السعد متاح

كابوس الأوثان العاتي

ولّى ، وظلام الحقد انزاح

لا سوط يولول في ليل

مجنون ، يذخر بالأشباح

يا كم جاهدت ، وكم عاندت

ودربك أشواك وجراح

ها هو ذا فجر العزة لاح

مع نور الحق ، بخير صباح

والشرك تحطم مندحرا

فاصعد – لتؤذن – يا "ابن رباح"

***

بالأمس ، رأيت الكفر عتيـــا
ضم حصونـــا وعتـــادا

فمضيت إلى الهـــادي تدعوه
- تناشد - والبغي تمـــادى :

"ادع عليهـــم ربي ..
أن يسحقهم ، أن يحرق أكبـادا

ليصول الدودُ مع الطـــاعون
يضم هشيمـــا ورمـــادا

فلكم ضجروا ، ولكم سخـروا
وكم احتقـروا من قد نـادى

ظلموا ، هتكوا ، فتكوا ، ولغوا
في الإثم ، وحملوا الأحقـادا

والهـــادي يبسم يبصر من

يخرج من أصـــلاب الأشرار

ويقول : "اللهم ارحمهم

وافتح أعينهم للأنوار"

و "بلال" يعجب ، لكن ، لا

ينكر ، بل يؤمن بالمختار

وبأن غداً ، سيفيض هدى

ومآذن تعلو بالأمصار

ويصول الكفر بجهال

سجدوا – في ذل – للأحجار

وتثور الحرب ، وقِلَّتُنا

تتصدى لجيوش الكفار

وأميَّــةُ يبـــدو غــولا ، لا

يرحــم ، ويعــذب في نشــوهْ

يتلــذذ بالإيــذاء ، ويلهـــو

بالإيــــلام وبالقســـوهْ

"وببدر" سيف "بلال" غــاص

ليسكـــت للبـغي عتـــوه

وتدحـــرج رأس "أميـــة"

كالكرة الجوفـاء ، إلى الهــوه

سيــف وأذان يجتمعـــــان

ليعلـــو حــق مع قــــوهْ

ورسـول الله يقـود الجيــش

فحيـــوا دينــا ونبـــوهْ

***

سيظل الهادي يحيا في

قلبي ويحقق أحلامي

و "بلال بن رباح" حبيبي

هو جدي ، مسك الإسلام

الأسود مثل سواد العين

يُبدِّد ليل الإظلام

من أذَّنَ يدعو لصلاة

والصوت كأحلى الأنغام

ما كنا نشبه أيتاما

يَسْعَوْنَ لمائدة لئام

بل كان القول الفصل لنا

والحكمة بين الأقوام

"وبــــــلال" يقول لكـــم :

"ضموا الأيدي في صفوٍ ووئام

فالصبر يحقق عزتنـــــــــا

ويؤكد أحلى الأيـــــــام"

المجموعة الثالثة

أ – تواشيح وابتهالات

١ – صلى الله عليه وسلم

٢ – شهدت بأن لا شريك لربي

٣ – يا حبيبي يا نبي

ب – رسالة من الشاعر

جـ – ألغاز للأطفال

١ – عن سيدنا آدم عليه السلام

٢ – عن سيدنا نوح عليه السلام

٣ – عن سيدنا إبراهيم عليه السلام

٤ – عن سيدنا إسماعيل عليه السلام

٥ – عن سيدنا هارون عليه السلام

٦ – عن سيدنا عمر بن الخطاب

٧ – عن سيدنا عثمان بن عفان

٨ - عن سيدنا علي بن أبي طالب

٩ - عن سيدنا بلال

١٠ -عن السيدة / أسماء بنت أبي بكر

١١ -عن السيدة / الخنساء

١٢ -عن سيدنا سعد بن أبي وقاص

١٣ -عن سيدنا سلمان الفارسي

١٤ -عن سيدنا حسان بن ثابت

١٥ -عن سيدنا عمرو بن العاص

١٦ -عن سيدنا عمر بن عبد العزيز

١٧ -عن الإمام البوصيري

١٨ -عن الشاعر الأموي "كميت"

١٩ -عن الشاعر الشريف الرضي

٢٠ -عن الشاعر التيجاني يوسف بشير

من المعروف أن طموحـات الشـعراء لا تحدهـا حـدود .. وهـي بقدر خيالاتهم اللانهائية .. كمـا أن مشـاعرهـم الفياضـة والجياشـة تتفاعل مع كل جزئيـات الحيـاة مـن جمـاد ونبـات وحيـوان .. فلـم يسلم من قوافيهم مخلوق .. فنراهم يغنـون للنسـيم والليـل ويتغنـون بالنجوم والقمر وينظمـون بكـل ملكـاتهم في جماليـات الطبيعـة مـن زهـور وأشـجار وظـلال وعطـور وأصـوات وأمـواج .. ويمتدحـون الطيور بشتى فصائلها يتشببون ببعضها ويتمثلـون ببعـض .. وحتـى الحيوان نال حظاً مناسباً في هذا المضمار والإنسان محـور رئيسـي في هذه التفاعلات الوجدانية بصفته الفـاعل أو المفعـول بـه أو المفعـول لأجله .. ولأن الشعر رسالة سامية راقيـة .. فـإن مـن الشـعراء مـن حملوا هذا التكليف بقلوب واعيـة باعتبـار أن "كلكـم مسـئول عـن رعيته" حديث شريف .. وما دام الشعر يمتاز بتـأثيره الشـديد علـى الناس .. فلقـد أصبحـت مسـئولية الشـاعر عمـا يقولـه كبـيرة لأنـه سيتدخل في تشـكيل أذواق المجتمـع رفعـاً أو خفضـاً .. وسـيترتب على هذا التشكيل أساس أخلاقـي يقـام عليـه البنـاء الثقـافي .. فـإن

كان الأساس متيناً كانت الثقافة شامخة في كل أفرعها .. وإن كان الأساس هشاً لم تكن للبناء الثقافي دعامة .. أو لم تقم له قائمة ..

وعلى هذا الأساس تصدر بعض الشعراء للارتفاع بالذوق العام وربطه بالمرجعيات الأخلاقية .. وبالتالي لابد من شحنات روحية بين الحين والآخر .. تقربه من نفحات الله سبحانه وتعالى .. وفي هذا المجال كان الشعر الصوفي هو صاحب القدح المعلى أو قصب السبق.

وشعراء النوبة بأخلاقياتهم المتميزة ينسبون ما يكتبونه من شعر إلى الإلهام الرباني أياً كانت الأغراض التي كتبت فيها أشعارهم .. كما قال الشاعر النوبي القديم المرحوم / حسين روم في ديوانه "النائع الشادي" : في مدح أحد أبطال النوبة [1] في حرب فلسطين:

---

(١) البطل النوبي هو المرحوم اللواء / محمد عثمان فقير .. وكان برتبة نقيب في القوات المسلحة المصرية أثناء تلك الحروب.

لا تحسبوا الشيطان ألهمني الذي أشدو به ، أو أن إنســـاً ملهمي
لكنما الرحمن جل جـــــلالـه أوحى إلى بلذا القصـــيد المحكم
فحذار يا شعري يفوتك فرصـــة من غير أن تحظى بمدح الضيغم[1]

وإن كان هذا هو رأي شعراء النوبة فيما ينظمونــه مـن شـعر في الأغراض المتنوعة فكيف إذا تعرضـوا إلى التواشيح والابتهـالات في قصائدهم .. هذا ما سنراه في ابتهالات شاعرنا / إبراهيـم شعراوى المنشورة بعد هذا العرض مباشرة في قصيدتين الأولى بعنوان " صلـى الله عليه وسلم " والثانية بعنوان "شهدت بأن لا شريك لربي" .

وهناك جانب آخر من أغراض الشعر .. لم يكن يستخدم كثيراً في موروثاتنا الثقافية .. أو ما وصلنا منه قليل .. وهو شعر الأحاجي أو الألغاز .. فإن التـاريخ احتفـظ لنـا ببعـض مـا وردت في السيرة النبوية نثراً مثل قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة فيمـا معنـاه "مـا هي الشجرة التي لا تسقط ورقها في الخريف" وكانت الإجابة أنهـا

(١) الضيغم : هو الذي يفتك بالخصم عضاً .

"النخلة" أما الألغاز أو الأحاجي شعراً .. نذكر على سبيل المثال ما كتبه "ابن الفارض" من ذلك في ديوانه المعروف ملغزاً عن أسماء بلاد أو طيور أو مأكولات .. وكان من أظرف ما كتبه أحد الشعراء القدامى في هذا المجال هو :

ألا أخـــبروني .. أي شيء رأيتمـــو
من الطير .. في أرض الأعاجم والعرب
لـيـس لـــه ريـــش وليـــس لـه دم
وليـــس لـــه عظـم وليـــس لـــه ذنب
يؤكـــل مطبوخـــاً ، ويؤكـــل بـــارداً
ويؤكـــل مشويـــاً إذا دس في اللهـــب
ويبـــدو لـــه لونـــان : لون كفضـــه
ولون جميـــل أصفـــر اللون كالذهـب
وليـــس يرى حيـــاً ، وليس بميـــت
ألا أخبروني .. إن هـــذا هـــو العجب

وهذه الأبيات تمثل لغزاً جميلاً ومحيراً في ذات الوقت .. وإذا لم تصل إلى معرفة الحل الصحيح .. فستجده قبل نهاية هذه الكلمات وليعذرني القارئ إذ لم أنسب هذه الأبيات إلى صاحبها لأني أخذتها مشافهة من والدي رحمه الله رحمة واسعة .. ونسيت اسم الشاعر مع مرور الوقت .. وافتقدت المصدر والمرجع .

والأستاذ / شعراوى اقتحم هذا المضمار على ظهر فرس مدرب .. وهو خبير باللغة يشكل منها حيث يشاء .. كما أنه صوفي النزعة .. وبالتالي سيوظفها فيما يعود بالخير والنماء له ولمجتمعه .. ولأنه مهتم بأدب الأطفال إيما اهتمام .. فسيصب كل ما عنده في معين الناشئة ... ولذلك .. نجده قد اختار أسماء الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه .. وكتب ألغازه أو أحاجيه للطفل بالشكل الذي يجذبه إلى القدوة الصالحة للبشرية جميعاً .

حدثني الأستاذ / شعراوى عن بداية تفكيره في هذا الغرض الشعري "الألغاز" فقال أنه في بدايات حياته الأدبية قرأ لغزاً في

الأدب الإنجليزي "وكان أستاذنا خبيراً في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية" قرأ ما معناه :

"ما هو القصر الذي لا نوافذ ولا أبواب له مع أنه مملوء على آخره بالذهب والفضة .. ولا تستطيع الحصول على هذا الكنز الذي بداخله إلا إذا حطمت القصر تماماً"

وهذا لغز جميل ويحرك الخيال إلى كل اتجاه بحثاً عن الإجابة أو الحل الصحيح .. وبعد أن يسافر الإنسان إلى كل أنحاء المعمورة بفكره سيجد أن حل هذا اللغز هو "البيضة" وبالمناسبة فإن البيضة نفسها هي "الحل الصحيح" للأحجية أو اللغز الشعري الذي مررنا عليه منذ قليل في الصفحة السابقة عند قول الشاعر :

ألا اخبروني أي شيء رأيتمـــــو

من الطير في أرض الأعاجم والعرب

تأثر شاعرنا / إبراهيم شعراوى بذلك اللغز .. وأراد أن لا يحرم أبناءه من هذا اللون الجميل .. ولكن بأسلوب رسالي فكانت هذه

الألغاز الشعرية المنشورة تباعاً عن الأنبياء والمرسلين أحيانـاً .. وعـن الصحابة والصالحين أحياناً أخرى .

وجدير بالذكر أن أمير الشعراء (أحمد شوقي) كـان لـه في هـذا الغرض الشعري إبداعات معروفة ...

صلى الله عليه وسلم

قلبي بالإيمان تكلَّمْ

قال : تأمَّلْ كي تتعلمْ

إقرأْ باسم الله لتَفهمْ

أن الله هو (الخلاقُ)

وهو (النافع) و (الرزاقُ)

وأنا - أذكرهُ - أتعبدْ

خلفَ رسول اللهِ محمدْ

أحنَى خَلْقِ اللهِ وأرحمْ

المختارُ الهادِي البلسَمْ

في حضرتِه نَطَقَ الأبكمْ

الناقةُ جاءتْ تتكلمْ

والجـــذعُ البـاكي يَتَــألمْ

والـمُنكِر ، مِنْ عَجَبٍ ، أسْلمْ

ورأى هـادِينـــا يَتَبَسَّـــمْ

أحنَى خلـقِ اللهِ ، وأرحَـــمْ

فـإذا ثـــارَ الكُفرُ المظلمْ ..

قادَ ، وشادَ ، وجادَ ، وأطْعَمْ

وأذلَّ الشيطـــانَ وأرغَـــمْ

لا أخشَى الليـــلَ إذا أظلَـمْ

إن طُلـــوعَ الصبـحِ مُحتَّمْ

مع نورِ المبعـــوثِ الأعظَـمْ

صَلى اللّـــهُ عَليـهِ وَسَلَّـــمْ

شهدت بأن لا شريك لربي

شهدت بـأن لا شريــك لـربي

ينير القلـوب ، ويحي العظـــام

وقمت أصلي ، ليعلــو مــوجٌ

من النور ، يُغْرِقُ صَرْحَ الظـلام

***

أُلبيــك يــا رب عند القيـــام

وعند الزكاة ، وعند الصيـــام

وحجِّي إذا ما استطعت إليـــه

سبيلاً ، ألبيك بين الزحـــام

ويُنعِش روحي حديـــث النبي

عليه الصلاة وأزكى الســـلام

يا حبيبي يا نبي

١

امض في الصحراء يا حادي المطي

إن بي شـوقـــاً إلى أرض النبي

أنــا نـــوبي ، وفي نـــوبيـتي

شفـــة الزنـــج وأنف الحبشـي

يـــا رسـول الله ، قـــد علمتني

أن في الأجنـــاس ، لا فضل علي

***

أنت – كالفجـــر – ربيعي ندي

وكمثل الريح ، في الهول ، قوي

أنت ، في السلم ، حـنان للورى

.. يا حبيبي .. أنت كف أبــوي

فـــإذا مـــا شبت النـــار فما

عـــاد إلا الحرب ضرب ودوي

كنت ، في الهيجاء ، جيشاً كاملاً

ساحقـــاً ، والخصم باغٍ بربري

***

كانت الدنيا ظـــلاما دامســاً

ليس في الكـــون ظلام سرمدي

مزق الشيطـــان من أوصالهـــا

وهو شيـطـــــان مريد وثني

أزرق الأنيـــاب لا يخشى سوى

أن ، في الصحراء ، قد لاح صبي

***

اخضرار الحقـــل في خطوتــه

وابتسام الفجر في الوجه الوضي

﴿عليه الصــلاة والســـلام﴾

والربيـــع البكـــر في طلعته

والحديث العذب خمــر ، وشهي

***

صادق ، لا يعرف الخـــتل ، ولا

فيه شيء - غير ما يبدي - خفي

تبدأ الدنيـــا به ، دنيـا كمـــا

نشتهيهـــا ، وكمـا يرجو الأبي

فـــإذا ما لاح ، مرت فوقـــه

غيمـــةٌ ، مرت بســـر قدسي

واستحـــال الرملُ مسكـــاً تحته

وجـماناً باسم الوجه شـــــذي

***

يا حبيبي ، أنت لي ،

إن ، تعصف الريـــح ، من حولي

.. ومـــاذا في يـــــدي ؟!!

أنـــت لي فـجـــــر ربيـــعي إذا

عشّشَ الليـــلُ ، هنا ، في مقلتي

أنـــــا من طينٍ ،

وذو التيجـــــان والقصر من طينِ

ومنه كــــل حي !

وفقير ، هل تـــــرى يفـضـــلني

في ، طريـق الفوز بالخـلد ، غني ؟!

***

يا يــداً تمتد ، من خلف الديــاجي

- لأمثالي - وتدعونا : "إليّ ... " !

أنت لحـــنٌ في دمي ، في أضـــلعي

أنت .. مــاذا ؟! سكـــر في شفتي

***

قبلة - مني - مع الفجــر ، على

جانب المحراب ، فيه : "الله حي"

ومع الليل - على المحراب - يـا

أطهــر النــاس ، تقبّــل قُبلتَيْ

***

مسلـم قلبي ، وروحي ، ويـدي

وضـميري ، مسلم في كـل شيء

مسلـــم أحلـــم أن تـقـبـلني

- في رعـايـاك - وأن تحنو عليّ

يا يـــداً تمتد ، من خلف الـدجى

خذ بكفي ، يـــاحبيبي ، يـا نبي

رسالة من الشاعر

أحبابي .. اسمي " إبراهيم " ..نوبي .. من قوم فقراء ..
وأحب الصدق .. أحب العدل .. أحب الفرحة والأضواء

•••

سمتني أمي باسم نبي .. قد ملأ الكون محبه .. لا
يرهب فرعون ولا النار .. ويرفع أعمدة الكعبة .

•••

فلتنظر .. ها هو نا يهدم .. كل الأصنام .. ويحط
الفأس على كتف الصنم الأكبر .. حتى يسخر ..
والناس نيام.

•••

وبصبح العيد .. انطلق الناس إلى المعبد .. والثوب
جديد .. والقلب سعيد فرأوا أصناما منهاره .. وحطام
صخور وحجاره ..

قالوا : لم يفعل هذا إلا إبراهيم .. يا كم أزعجنا بكلام
.. وهو عدو للأصنام .. فلنحرقنه بنار وضرام

***

وينادى ربك إبراهيم : " يا إبراهيم .. لا تخش الكفار الأشرار .. فأنا الله المنتقم الجبار .. سأبيدهم".
وأنا الرحمن أقول لهذي النار : " كوني لهبا من غير ضرام .. وبلا آلام .. النار هنا برد وسلام".

***

يا أحبابي .. أسمعتم قصة إبراهيم ؟!!
قد كان صغيرا مثلكم .. في سنكم .. ولهذا عشت أحبكم .. وأحطم كل الأصنام .

شعراوى

إبليسُ قال : كُلْ فصار جَدّ الكُلّ

وودّع العليا فعمّر الدنيا

عن سيدنا آدم

[عليه السلام]

أحبَّ ابنــــه وبــكى لابنــــــه
وقـــــاد السفينـــــةَ في حزنــــه

وقـــال : بُنَّي ، كفى ، لا أمـــل
فليســـت نجـــاتك فوق الجبـــل

ولـمَّــا بدت من بعيد مدينـــــهْ
مضى نحوها ثم أرسى السفينـــهْ

سيدنا نوح

[عليه السلام]

عبدوا في عصره الصخر الأصــم

فمضى يحمل فأســـاً ، وانتقـم

وضع الفـــأس على أعلى صنـم

أشعلـــوا النـــار ضرامـــا

وهي قد صـــارت ســـلامـــا

سيدنا إبراهيم

[عليه السلام]

اذكروا قلبه المضيء الطاهـــــــر

واذكروا – أمه –وغنوا لهاجـــــر

فهي قد أنجبت نبيـــــاً أمينــــــا

ليس يخشى ذبحاً .. ولا سكينـــــا

غير أن الســـــماء أرحم بالطفـــل

وأحنَى عليـــــه من أبويـــــــه

السماء افتدت – بكبشٍ – نبيـــا

وأعـــــادته – للبريـــــة – حيا

سيعـــود الأب النبي .. فقـــومي

والـثُمي طــرفه ، وصلي عليــه

قــد أطـاع الإله، ما رَقَّ للطفـل

فحق الإلـــه يعلـو لديـــــه

هل ترى قد عرفت ذاك النبيـــا؟

سيدنا إسماعيل

[عليه السلام]

قال موسى : يا رب ، إنك أعلـــم

أنت تدري، من قبل أن أتكلــــم

إن فرعـــون يملك السلطانــــا

وأخي أفصح الوجـــود لســانــا

رب، فاجعلـــه ســاعـدي ويميني

رب، وارفـــع بـــه منـــار الدين

من تُـــرَى ، ذلك الأخُ العبقـــريُّ؟

إنـــه صـــادق ، تــقي ، نبي

سيدنا هارون

[عليه السلام]

في مصر، رايات الهدايـة تخفـق

والكـون ملك يـمينـه ويرتق

المصطفى قـد مـات ؟!!!

لـيـس يصـدّقُ

لا تقطعوا يد من يجوع، فيسرق

سيدنا عمر بن الخطاب

[رضي الله عنه]

مسلـــم يسـعى لقـتـلي؟!!

أنـــا في البيــت أصـــلي

غير أن الفتنة - الحمقــاء -

في الأمصـــــار ، تـغـلي

لا أخــاف الموت ، هــذا

عمــر يقـتـــل قبـــلي

ذو النـورين

سيدنا عثمان بن عفان

[رضي الله عنه]

نـــام والموت حوله يترصَّـــد

وسيـــــوف سعت لقتل "محمـد"

﴿عليه الصـــلاة والســـلام﴾

فـــإذا هجـــرة تتم .. وتعلـــو

راية اللهِ – في الوجود – وتخلد

أول من أسلم من الصبيان

سيدنا علي بن أبي طالب

[رضي الله عنه]

صبرٌ وجلد .. والحرُّ اشتــــد

والصخر على الصدر الأسـود

ويقــول أحــد .. الله أحـد

ويدور زمان

تتحطم في الســاح الأوثــان

ويــرن أذان

في كــــل مكـــــان

أعــرفـــــت الآن؟!

مؤذن الرسول

سيدنا بلال بن رباح

[رضي الله عنه]

كانت مثـــلاً .. يا من فهمَا

حَمَلَتْ – في السِّرِّ– طَعَامَهُمَا

قد كـان الخُبـــزُ بكفّيهَـــــا

وطعَـــامٌ تحتَ نِطاقَيْهَـــــا

يــــا بنت الثـــاني والأولْ

ثـــانٍ .. والأوَّلُ فَـلتعـــلمْ

صَـلى اللـهُ عليـهِ وسَلَّـــمِ

وهـــو الأولُ إذ يـخـلفــهُ

فكر .. قُل لي .. هل تَعْرِفُه؟!

لـكني لا أســـألُ عَنــــهُ

وأنـــا أســـعى نحو ابنتــــهِ

فكر .. إني أسألُ عنهـــــا

أفدي بالروح نطـــاقيهَـــــا

ذات النطاقين
أسماء بنت أبي بكر
[رضي الله عنهما]

كم بكتْ شعراً أخـــاها ، وأخـــاً

غَيرهُ مــــاتَ بعصـــر الجاهليـــــة

ثم ، لـمـــا وفدت في قومِهــــــا

لرســـول اللهِ ، ألقت بالتّـحيـــة

أين أبنـــــاءٌ لهـــا أربعـــــــةٌ

الشباب استُشهِدُوا في "القادسية"

في اسمها تلقى "نساءً" واعجبوا

من "خَنَاسِ" الشعرِ أُمِّ العبقريــه

الخنســـاء

شاعرة عاشت في العصرين

الجاهلي وصدر الإسلام

فارس قد كان يبرى الأسهمـــا

ثم ألقى السهم ، سهمـا مسلما

وهـــو قـد أهـرق للكفـر دما

قـــال : يـا أم كفى لا تسـألي

إن في الإســـلام أغلى أمـــل

"فكلي إن شئت أو لا تـأكلي"

القائد البطل

سعد بن أبي وقاص

[رضي الله عنه]

الفرس قالـوا : النـار تخلقنـا

فقال : إن النــار تحرقنــا

وســار يرجو ربه الحقـــا

فذاق - في تجوالـه - الرقـا

واستقبل الدين الذي أشــرق

وقــال : هيـا نحفر الخنـــدق

صاحب الخندق الصحابي الجليل

سلمان الـفـارسي

[رضي الله عنه]

مِنْ بني الخَزرج ، بالدينِ نَجَا

نصرَ الإسلامَ ، والكُفْرَ هَجا

كانَ بالإنشادِ جيشاً وحده

ورسولُ اللهِ قد أيَّدهُ

قال : يا شاعرُ ، روحُ القُدس لك

مَزِّقْ الكفارَ ، واللهُ مَعك

في اسمهِ نجمعُ للحُسْنِ الشباتْ

وَ عَلى طَه النَّبيِّ الصَلواتْ

حسان بن ثابت

[رضي الله عنه]

شاعر رسول الله

صلى الله عليه وسلم

يُجيدُ الكيِّدَ والمكرَا بجيشٍ عَانقَ النَّصرَا

متى استعبدتم النـاس وقد مُلِّكتُمُو الأمرَا ؟!

وهذا الدرس من عُمَرٍ وَأَعرِفُ دَرسَهُ مُرًّا

لمن كان ؟ لمن تعلو .. له الرايات في مصرا

رجل الكر والمكر

عمرو بن العاص

[رضي الله عنه]

كان لـمـس الـحـريـر يُدمي بنانه

ثم لـمـا بــدا بأعلى مكانــه

ترك القصر ، والزخارف والثوب

الحريري .. قال هذي أمـــانـه

أنت لابن الخطـاب بعث جديـد

لم تبدد أموالـنـا في الخزانــه

خامس الخلفاء الراشدين

عمـر بن عبـد العزيـز

[رضي الله عنه]

سـوف يبقى ذكره في الخالدين

ولـهُ مجـدٌ وأذكـارٌ وديـن

ولـه همزيـةٌ في المصطفى

ولـه البردةُ تزهـوُ ، وكفى

وعنِ "المرسي أبي العبَّاس" قد

أخذ الزهد بعلمٍ ، واجتهد

في اسمه تلقى حروفاً للبصير

وهو – في الزهد – له القدرُ الكبيرْ

الشاعر

البوصيري

يا فرزدق ، هل ترى شعري رضيًا ؟

قال : قد أبدعتَ شعراً عبقرِيـــــا

فمضى يـمدح أصحـــــابَ النبي

وهــــو لا يخشى العقــاب الأموي

وهشــــامٌ قــال : أهدرتُ دمــه

وعفـــا عنـــه ليرضى مسلمـــه

عجبـاً ، و "الـمَيْتُ" في لفظ اسمه

و "الكَميُّ" فاعجبــوا من رسمــه!

الشـــاعر
الكميت

هو مــن آل رســول الله .. من

فـاطـم الزهــراءِ ، والذكرِ الحسن

كان في عصر به الإيمــان ضـاع

بين فوضى ، وانقســامٍ ، وصراع

فمضى ينشد ، لا من أجل مــالْ

بل بإيمانٍ ، وصدقٍ ، واقْتِنَـاعْ

شـــاعرٌ بالطهــر والدين عُرِف

في اسمه تلقى رضـــاءً وشـرف

الشـــاعر

الشريف الرضي

بجنوب وادي النيل كانْ

نبغ البلاغة والبيانْ

قد ظل يحلم بالأمان

والداء يسري في الكيانْ

التاج يزهو باسمه

وليوسف شدو الحسان

حَيَّا البَشِيرُ حفيدَهُ

ورأى اللآلئَ والجُمَانْ

في موطن السودان كان

الشاعر السوداني

التيجاني يوسف بشير

نَافِلَةُ القول

بعد استعراض رحلة إبراهيم شعراوى بين دهاليز التصوف ومحراب الأدب درويشاً وشاعراً .. لعله من نافلة القول "الحديث عن سيرته الذاتية" ... وإن لزم تعميم التعريف بشاعرنا .. فإن هذا الرجل – بدون مجاملة – يعتبر فخراً لكل أبناء النوبة .. حيث له مكانة مرموقة في عالم الأدب .. بدايتها كانت عندما كرمه الرئيس/ جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٦ .. لدوره في رفع الروح المعنوية للمقاتلين البواسل في جبهات القتال .. وبث الصمود في الجبهة الداخلية .. ولقد أمر عبد الناصر بإعادة إصدار ديوان شعراوى (أغاني المعركة) على نفقة الدولة .

واستمر عطاء شعراوى الأدبي المميز الذي نال إعجاب الجميع .. وكرمه الرئيس / محمد حسني مبارك ومنحه نوط الامتياز من الطبقة الأولى لفوزه بجائزة الدولة التشجيعية للآداب سنة ١٩٨٧ .. وأصبح بذلك راية نوبية خفاقة في سماء العاصمة .. متربعاً على

قمة تتطاول إليها الرقاب ... كما شرف النوبة في كثير من المحافل الأدبية العديدة، والمؤسسات العلمية، والمنتديات التي شارك فيها .

والأستاذ الأديب الشاعر / إبراهيم عبده شعراوى .. من مواليد قرية (الجنينة والشباك) في أعماق النوبة سنة ١٩٢٨ من أسرة كبيرة لها امتداد في كثير من قرى النوبة، ولها فروع في خارج بلاد النوبة، وهي أسرة "جاسر" ... وهو أديب موسوعيّ .. ومن أشهر من كتبوا للطفل على مستوى العالم العربي بأسره .. إن لم يكن هو ثاني اثنين في هذا المجال مع الأستاذ / عبد التواب يوسف .. فهو كاتب، وشاعر، وناقد أدبي، وباحث، ومترجم .. ساهم في تأسيس وتخطيط النظم النقدية للأدب العربي، والتي انطلقت من القاهرة في الخمسينيات.

حاولت استخلاص بعض تجارب حياته .. فسافر إلى أغوار الماضي وتخطى عشرات السنين .. ثم عاد إليَّ بهذه الكلمات الموجزة في صياغتها ... العميقة في مدلولاتها ... فقال :

" عندما كبرت، وتفرغت لفهم ثقافة الناشئة ، أدركت بشكل علمي معنى ذلك الهاجس القديم تجاه الكتاب المدرسي الأخرس ، الذي لا يفتح صفحاته على نبض حياة المجتمع ... وكتبت يومها : "لن تذوق طعم الحياة ، وأنت تعيش على هامشها في الأحياء الراقية، ولن تفهمها إلا إذا وصلت إلى البعيد ... ماذا لو أتيت معي إلى المطبعة .. إنني أراك متردداً كأنك تسعد لدخول الجحيم، وألمح على وجهك صوراً للاحتقار .. وأظنك تذكر غش عامل، أو عدم وفائه بالوعد ... تعالى معي .. فما تعلمت الحياة إلا في المطبعة .. رأيت بين العمال من يحمل قلباً كبيراً ، ومن يعيش بروح فنان .. لا ينقصه إلا الصقل، لتظهر الجوهرة اللامعة " .... ".

هذا ما كتبه شعراوى بالنص في مذكراته أو ذكرياته في مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية .. ومن كانت نظرته إلى المطبعة بهذا العمق الوجداني .. فإن بنات المطبعة (أو المطبوعات التي تنجبها تلك المطبعة) ستكون لها مكانة خاصة في سويداء قلبه ... وقد كان ..

فقد تبادلت المطبعة مع شاعرنا ألوان العشق والغرام، وتجاوبت معه في مشاعره وهيامه .. فكانت هذه المطبوعات التي جادت بها قريحة إبراهيم شعراوى :

والأستاذ / شعراوى له العديد من دواوين الشعر .. نذكر منها : ديوان "أغاني المعركة" - صدر سنة ١٩٥٦ م ، وشارك في ديوان "أغاني الزاحفين" كما شارك في ديوان "سرب البلشون" سنة ١٩٦٦ وديوان "أين عَنْزَانَـةْ" للأطفال، وأوبريت "الوسام"، وأناشيد الأطفال .. كما صدرت له أشعار تربوية، في سلسلة من أربع دواوين، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .. وله ديوان أبطال الكلمة سنة ١٩٩٨ . وليس معنى ذلك اقتصار إبداعاته على الموزون المقفى فقط .. فله أيضاً مؤلفات نثرية كثيرة .. منها كتاب "النوبة" سنة ١٩٦٢، ومجموعة كتب للأطفال سنة ١٩٦٧، ثم قصة "وادي القرود" وحكاية "راضية" وحكاية "صالحة" وهما من حكايات النوبة التراثية، صاغها شعراوى بأسلوبه البديع .. وكذلك كتابه الشهير "الخرافة والأسطورة في بلاد النوبة" الذي يعد من أقدم

وأسبق الكتب التي ألقت الضوء على التراث النوبي بشكل جميل .. وله أيضاً "رحلة مع قطرة ماء" صدر عام ١٩٩٧م .. كما أن له العديد من المقالات والدراسات والبحوث،نشرت في الصحف والمجلات، في كثير من أنحاء الوطن العربي، منذ عام ١٩٤٨م وإلى الآن.

"وإذا كان الوجدان الإنساني هو المَنْجَمُ الذي يستخرج منه الأديب مواده الخام، التي يشكلها في أعماله الأدبية" - كما يقول الدكتور نبيل راغب في تفسيره العلمي للأدب .. فإن هذا الكم الهائل من القصائد، ذات المرجعية الدينية، في أدب إبراهيم شعراوى، دليل على أن المواد الخام التي استخرجت من أعماقه، مصبوغة بصبغة دينية، وهذا الأخير دليل على أن المنجم ذاته ينضح بمخزونه الوافر .. كما أن تفرق هذه القصائد بين تواريخ مختلفة بدءاً من الخمسينيات وحتى التسعينيات، مروراً بكل السنوات بين الزمنين .. دليل على أصالة هذا التوجه عند الشاعر ... فلم يكن بالنسبة له مرحلة أو تجربة مرت عليه مرور الكرام، ومضت إلى

حال سبيلها، ولكنه توجه مؤصل، وله إسقاطاته على كل إبداعاته الأدبية، حتى أعماله المترجمة منها .

وربما يقول قائل : إن هذه الفقرات التي سطرت في نهاية الكتاب - على استحياء - كان يجب أن تأخذ مكانها في صدارة الكتاب ... ولكن ... هذا الترتيب الذي أردته ونفذته .. تَمَّ بناء على أولوية مطلقة لحاجة في نفسي ... قضيتها .

والحمد لله رب العالمين

الفهـرس

تم التجميع والإعداد بمكتب

" شريف كمبيوتر "

العباسية - القاهرة

☎ : ٢٨٣٥٢٠٢